التفسير العلمي للقرآن الكريم
بين النظريات والتطبيق

بقلم
الدكتورة هند شلبي

أستاذة مساعدة بالكلية الزيتونية
للشريعة وأصول الدين
تونس

2010-04-24
www.tafsir.net
www.almosahm.blogspot.com

التفسير العلمي للقرآن الكريم
بين النظريات والتطبيق

بقلم
الدكتورة هند شلبي

أستاذة مساعدة بالكلية الزيتونية
للشريعة وأصول الدين
تونس

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

رفع
المسهم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة

تونس
1985/1406

بسم ٱلله الرحمٰن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وأودع فيه من الحكمة والكلمات ما إن كان البحر مدادا لها لنفد قبل نفادها . والصلاة والسلام على النبي العربي الأمي المبلغ للرسالة والحافظ للأمانة .

وبعد ، فإن الذي دعاني الى الكتابة عن التفسير العلمي للقرآن الكريم عدة أمور منها :

1) ــ سعة التأليف فيه ، وقد لاحظنا أن الكتابة في هذا الموضوع قد نمت كمّا وكيفا ابتداء من أواخر القرن الماضي واحتدمت التآليف فيه في عصرنا الحاضر .

2) تعدد محيّر لمواقف العلماء والباحثين حول مسألة قبول التفسير العلمي للقرآن الكريم أو رفضه ...

3) عدم وقوفي على دراسة علمية مركزة في هذا الموضوع تحاول فرز الآراء وتنظيمها، ومناقشة ما جاء فيها للترجيح بينها، فإن أهم ما كتب في هذا المعنى الفصل الوارد في كتاب الشيخ محمد حسين الذهبي « التفسير والمفسرون » تحت عنوان : التفسير العلمي ؛ لكنه لا يعدو أن يكون استعراضا لمذاهب العلماء في القديم وفي الحديث مع الاستشهاد ببعض أقوالهم . نستثني من ذلك ذكر الأسباب التي عددها الشيخ الذهبي ليعلل رفضه للتفسير العلمي للقرآن .

4) الحرية الواسعة التي صرنا نلاحظها لدى عدد من الباحثين وكذلك أيضا من لم يبلغوا بعدُ درجة البحث[1] في تعاملهم مع المعاني القرآنية .

ومعلوم أن العلماء قد ضبطوا منذ البداية العلوم التي لا يجوز الخوض في علم التفسير قبل تحصيلها . فمنها ما يعود الى اللغة ومنها ما يعود الى القواعد النحوية والصرفية ، ومنها ما يتعلق بالأسلوب والبلاغة ، ومنها ما يعود الى القرآن نفسه،وتعرف في مجموعها بعلوم القرآن كمعرفة المكّي والمدنّي ، والعامّ والخاص ، والناسخ والمنسوخ ، والمطلق والمقيّد الخ ...

وكثيرا ما صرنا نشعر أمام بعض الكتب والمقالات بزهد بالغ في تلك العلوم نتج عنه كثير من التقوّل الذي لا يمكن أن يدركه من لا يملك من العلم ما يستطيع بفضله مناقشته والتفطن الى بطلانه . وكأنما نسي الباحثون أنهم يتعاملون مع القرآن ، وكأنما غفلوا عن الوعيد الذي يهدّد كل من قال في القرآن بغير علم . حدث ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول

---

(1) انظر مثلا مقال : البناء الكوني بين نظرة القرآن ونظرة العلم ، يوسف الحمدي ، **المغرب العربي** ، السنة الثالثة ، العدد : 76 ، السبت 5 نوفمبر 1983 ، 43-45 . والمقال عملية نسخ مشوهة للفصل الرابع من كتاب «نقد الفهم العصري للقرآن» للدكتور عاطف أحمد، ط أولى ، 1972، بيروت .

رفع المستهم

الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اتقوا الحديث عنّي إلا ما علمتم فإنه من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »[2]

لأجل ذلك حرصت في هذا البحث على أمرين :

1) محاولة الإلمام بمواقف العلماء من التفسير العلمي للقرآن مع عرض للحججِ المؤيدة والأدلة المناقضة، وخصصت لذلك القسم الأول من البحث وهو القسم النظري .

2) الاحتكام في الموضوع الى القرآن وعلومه والى اللغة العربية بالاعتماد على الأمهات من كتب اللغة والتفسير وعلوم القرآن .

وبذلك يمكن إعطاء تفسير بعض المسائل التي قمت بتحليلها في القسم الثاني من البحث ، وهو القسم التطبيقي ، نوعا من الشرعية التي لا مناص من توفيرها لمن يريد الخوض في الآيات القرآنية .

إن تفسير القرآن بالرأي بدأ مبكّرا واستمر على امتداد العصور الإسلامية . ويصعب تصور اليوم الذي يأتي ويتوقف فيه هذا النوع من التفسير ، لكنه يجب التمييز بين نوعين من التفسير بالرأي :

1) النوع المشروع : وهو الذي يستجيب للشروط الموضوعة من طرف علماء الجماعة .

2) النوع المرفوض:وهو الذي يخوض صاحبه في الآيات القرآنية بدون عتاد ، أو يطوعها لتتفق مع المذهب الذي يدافع عنه .

وقد ذكر ابن عطية في هذا المعنى عند شرحه لحديث : « من تكلم

---

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط. أولى،1969/1389، بيروت، 323/1 .

في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ »[3] قوله : « ومعنى هذا أن يُسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء أو اقتضته قوانين العلم كالنحو والأصول . وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته والنحاة نحوه والفقهاء معانيه ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر فإن هذا القائل على هذه الصفة ليس قائلا بمجرد رأيه . »[4] .

إن الذي ينبغي ان يتحراه الباحث في دراسة موضوع التفسير العلمي للقرآن صحة المعاني في الألفاظ ، وتقصّي الرواية المتعلقة بالآيات . ولا يوجد أيّ داع الى التنظير بين التفسير العلمي للقرآن والتفسير العلمي للعهد القديم والعهد الجديد مثلما فعل بعضهم . فإنه وإن تشابهت العملية بينهما فإن المضمون يختلف . ولا داعي كذلك إلى إعادة ما جاء في الدراسات المقارنة[5] والتي أبرزت الفروق الواضحة بين القرآن وبين التوراة والإنجيل في علاقتهما بالعلم .

ولا شك ان اختلاف المضمون يؤدي الى اختلاف النتائج ضرورة . فلئن أظهر البحث فُرقة بين ما جاء في العهدين وبين ما أكده العلم الحديث لأسباب يدركها من وقف على تاريخ التوراة والأناجيل ، فإنه لا يلزم عن ذلك تمرير النتائج وتسليطها على القرآن لاختلاف طبيعة حفظه على الصورة التي ورد بها علينا عن طبيعة حفظ التوراة والأناجيل على الصورة التي

---

(3) **صحيح الترمذي**، 1292 هـ، تفسير، 1 ، 157/2 . والحديث مروي عن جندب بن عبد الله .

(4) مقدمة ابن عطية لتفسيره **الجامع المحرر** ضمن كتاب : **مقدمتان في علوم القرآن**. وهما: مقدمة كتاب المباني ، ومقدمة ابن عطية، 1954م، مصر، 263.

(5) مثل كتاب : Maurice BUCAILLE, La BIBLE, le CORAN et la SCIENCE, édition Seghers, 1976.

نقرأها عليها اليوم . ومن أهم القضايا التي أثيرت بمناسبة الخوض في التفسير العلمي للقرآن والتي عقدتُ لها فصلا في هذا البحث مفهوم المعجزة .

فالقرآن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الشاهدة على صدقه . وللمعجزة خصائص تفردت بها جعلت البشر العاديين عاجزين عن أن يأتوا بمثلها بالكيفية التي تحصلت بها على يد الأنبياء . ولا شك أن المنطق الذي تجري وفقه المعجزة غير المنطق الذي تجري عليه قوانين البحث في دائرة العلوم المادية. فالمعجزة كما أُدركها تمثل تحقيقا فوريا للأمر الإلٰهي الذي بفضله يخلق آلله الكائنات، بينما لا تخرج البحوث العلمية عن دائرة الطاقة البشرية المترددة بين الخطأ والصواب .

وقد جرّ تحمّس البعض للعلم الى إنكار المعجزة يعني الطرف المقابل في البحث لأنها في نظرهم لا تخضع لقوانين العلوم المادية التي وضعها الإنسان ليدرك بها حقائق الأشياء . وربما تجاوز بعضهم هذا الإنكار الى اعتبار المعجزة ظلمة يمحوها نور العقل إذا ما بزغ[6] . وما درى هؤلاء أن الذي أظهر المعجزة على يد الأنبياء هو الذي خلق العالم الماديّ وقوانينه التي يسير عليها وطالب الخلق بالنظر فيها ليصلوا عن طريقها الى إدراك بارئها . فأي منطق هذا الذي يجعل المعجزة ــ وهي البرهان الإلٰهي على صدق نبوة الأنبياء ــ تأتي على خلاف المبدأ الذي عنه أظهر الله تعالى كافة المخلوقات . إن معجزة الأنبياء من خلق آلله تعالى ولئن غاب إدراكها عن الفهوم فإنما ذلك لنقص فيها لا لنقص أو خلل في المعجزة .

إن هذا البَحث الذي أقدمه لا أدّعي فيـه استفراغ المسائل الداخلة

---

(6) الإنسان الحائر بين العلم والخرافة. د. عبد المحسن صالح، عالم المعرفة، 15 1979/1399 ، الكويت ، 9 .

في موضوع التفسير العلمي للقرآن الكريم فإنه موضوع واسع ومعقد ، لكنه قدْ بدت لي فيه منهجية ربما كانت أسلم من غيرها في معالجة هذا الموضوع ، فإن أصبت فيها فذلك من الله تعالى وإن أخطأت فإنما ذلك من نفسي ، وإنما يشفع لي أني قد تحرّيت الحق فيما قلتُ . وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

تونس في : 20 جمادى الثانية 1405

12 مارس 1985

د. هند شلبي

القســم النظــري

الفصل الأول ــ التفسير العلمي للقرآن .

الفصل الثاني ــ تحليل تفصيلي لمذاهب العلماء في التفسير العلمي للقرآن .

الفصل الثالث ــ تقييم ما جاء في المذاهب المذكورة .

الفصــل الأول

التفسير العلمي للقرآن

إن بداية التأليف حول القرآن قَصْد الإلمام بمعانيه اتجهت أولَ الأمر الى إفراد موضوع معيّن بجزء فأكثر يستوفى فيها ما يتعلق بذلك الموضوع . فظهرت كتب في معاني القرآن ، وأخرى في مشكله أو مجازه أو غريبه أو متشابهه أو ناسخه ومنسوخه أو أحكامه[1] وغير ذلك من الموضوعات التي نجدها مدروسة عادة في كتب علوم القرآن .

وفي مرحلة تالية عمد العلماء الى ضم المتفرق من تلك الموضوعات وخرجوا على الناس بتفاسير سمتها الشمول حيث يتناول المفسر فيها الآية من ناحية اللغة والآثار والبلاغة والتشريع الخ ... كما نجد ذلك مثلا في تفسير الطبري ، وابن عطية وأبي حيان وغيرهم .

---

(1) انظر **الفهرست** لابن النديم ، القاهرة ، 57-63 .

ومن الموضوعات ما حظي أكثر من غيره بالاهتمام واستمر إفراد الآيات المتعلقة به بتآليف مستقلة الى اليوم ، وأعني بذلك آيات الأحكام . فإلى جانب المؤلفات القديمة فيه ظهرت تآليف معاصرة تهتم به .

وقد ظهر على غرار هذا نوع ثان من تفاسير الاختصاص وقع الاهتمام فيها بعدد من الآيات تمتُّ بموضوعها الى العلوم الحديثة بصلة كالآيات التي يذكر فيها الكون بأرضه وسمائه وكواكبه، والآيات التي تتحدث عن الإنسان في خلقته وخُلُقه ، وعاداته ، في تفرده وفي اجتماعه .

واتخذ التأليف في هذا النوع من الآيات صورتين :

1 ـــ صورة نسجت على منوال مناهج بعض المفسرين بتقسيم السورة الى مقاصد وتحليل كل مقصد بعد ذلك بالوقوف على الآيات ، بعد توزيعها الى مجموعات تتحد في الموضوع ، وتفسير كل مجموعة منها لفظيا أولا ، ثم بما يقتضيه الكلام الوارد فيها من بيان يعتمد علوم الأثر أو علوم العقل . وأبرز من تبنّى هذه الطريقة من القدامى الفخر الرازي في « التفسير الكبير » ومن المحدثين الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره « الجواهر » .

2 ـــ الدراسة المركزة على الآيات العلمية أو الآيات الكونية الواردة في القرآن يذكرها المؤلف عادة دون تقيد بترتيبها في المصحف ، بل يستشهد بما تيسر منها كلما تطلب منه البحث

ذلك . والغالب على هذه الدراسات أن تكون مبوبة على الموضوعات[2] . وعُرف البحث في هذا الموضوع **بالتفسير العلمي**[3] أو الاتجاه العلمي في التفسير[4] أو التفسير العصري[5] .

والذين أرخوا تيارات التفسير صنفوا العلماء إزاء هذا الموضوع صنفين : المعارضون والمؤيدون[6]. غير أن الواقع يقتضي مزيدا من التدقيق والضبط فيصنّف المعارضون صنفين :

1 ـــ المعارضون مطلقا ،
2 ـــ المعارضون المحترزون .

---

(2) انظر على سبيل المثال كتاب « **القرآن والعلم** » أحمد محمد سليمان، ط. 5 1981 م، دار العودة بيروت ؛ وكتاب «**الاسلام والكون**» د. عبد الغني عبود ط 2، 1982 م، دار الفكر العربي .

(3) محمد حسين الذهبي ، **التفسير والمفسرون** ، 1962/1381، دار الكتب الحديثة القاهرة، 140/3 ؛ أمين الخولي ـــ **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**، 1961 م، القاهرة ، 287 .

(4) د. عبد المجيد عبد السلام المحتسب ، **اتجاهات التفسير في العصر الحديث** ، ط. أولى ، 1393 / 1973 ، دار الفكر بيروت ، 247 .

(5) د. بنت الشاطىء**القرآن والتفسير العصري**، 1970 ، دار المعارف بمصر . وفي هذا الكتاب رد على د. مصطفى محمود في كتابه **القرآن** ، **محاولة لفهم عصري** .

(6) انظر **التفسير والمفسرون** ، 151-140/3 ؛ **اتجاهات التفسير في العصر الحديث** ، 295 . وقفت أخيرا على دراسة د. عبد الله شحاتة : **تفسير الآيات الكونية**، ط. أولى،1980/1400 ، دار الاعتصام ، حيث صنف المؤلف العلماء في هذه المسألة في ثلاثة اتجاهات : اتجاه مؤيد ، واتجاه معارض ، واتجاه وسط ، 8-7 .

مع اعتبار أن المعارضين مطلقا ينقسمون الى قسمين :

أ ـــ المعارضون مطلقا مع عدم التحيز الى العلم ،
ب ـــ المعارضون مطلقا مع التحيز الى العلم .

كما يصنف المؤيدون صنفين :

1 ـــ المؤيدون مطلقا ،
2 ـــ المؤيدون المحترزون .

ويرجع تعدد مواقف العلماء على النحو الذي ذكرناه الى تنوع مواقفهم من مسائل هامة قامت عليها قضية التفسير العلمي للقرآن ، ولعل ضبط هذه المسائل بين يدي البحث يعين على تفسير هذا التعدد في المواقف وإدراك الأسباب التي يتعلق بها كل واحد منها .

المسألة الأولى : حقائق الدين وحقائق العلم :

هذه مسألة عامة طرحت منذ أقدم العصور الإسلامية بعد أن حذق المسلمون العلوم الحكمية[7] التي نقلوها عن اليونان وعادت الى الظهور في عصرنا الحاضر وتتمثل في المقارنة بين الحقائق الصادرة عن الدين والحقائق الصادرة عن العلم للخروج بأحد

(7) وهي صناعة الطبيعيين والإلـٰهيين والرياضيين والمنطق . انظر كتاب **الاعلام بمناقب الاسلام** ، أبو الحسن محمد بن يوسف العامري (ت 381-992) 1967/1387 ، دار الكتاب العربي ، 85 .

الاستنتاجين التاليين : 1 ــ الجمع بين الحقيقتين ، 2 ــ الفصل بينهما .

المسألة الثانية : إعجاز القرآن :

بكر العلماء في الاهتمام بهذه المسألة فضبطوها بجميع جزئياتها وتناقلها عنهم الخلف جيلا بعد جيل ، واحتفظ البعض بمسائلها كما جاءت عن السلف لكن البعض الآخر رأى أن يضاف اليها ضرورة من أوجه الإعجاز ما مثله يؤمن عليه الناس اليوم . وأهم أوجه الإعجاز التي أضافوها الإعجاز العلمي .

المسألة الثالثة : اللغة :

تعالج المسألة الثالثة علاقة اللغة ، يعني الألفاظ بالمعنى من جهة ، وربطها بالزمن الذي ظهرت فيه من جهة أخرى ، فمنهم من حجّر فهم النص وقيّده بمعاني ألفاظه زمن نزول القرآن ، وبالتالي بالمستوى الذهني الذي كان عليه الناس في تلك الفترة ، ومنهم من فتح باب الفهم على مصراعيه وأحدث جدلية بين النص وبين المعنى تكسب النص حداثة متجددة تواكب تطور الفكر في إدراك حقائق الأشياء .

المسألة الرابعة : تغير المفاهيم :

ترتبط هذه المسألة بالمنهجية التي ينبغي بها تناول النصوص عند البحث والتحليل . واللفظ الأساسي في هذا الموضوع هو لفظ

العلم ، وهو وإن كان واحدا، فإن المفاهيم التي تعلقت به متغايرة . فالمعنى الذي أعطاه الغزالي المتصوف لهذا اللفظ يختلف عن المعنى الذي اراده الدكتور البشير التركي الفيزيائي منه ، وإنّ كان كلاهما من القائلين بالتفسير العلمي للقرآن . ومن باب أولى أن يتغير مفهومه مع من لا يشاطر الغزالي ولا الدكتور البشير التركي في النتائج ، أعني مثلا الأستاذ أمين الخولي أو الدكتور محمد أركون[8] .

المسألة الخامسة : الروح التي ينظر بها الباحث في القرآن :

لاحظنا أن العلماء في هذه المسألة صنفان :

1 ـــ المؤمنون بأن القرآن منزل من عند الله فهو في نظرهم حَكَم على غيره ومصدر لاستمداد حقائق الأشياء منه[9] .

2 ـــ المؤمنون بأن القرآن ظاهرة ينبغي دراستها كما تدرس بقية الظواهر الاجتماعية ، فتحكم فيه قواعد المنهجيات الحديثة في البحث . وهذا يجرّ لا محالة الى إعادة النظر في مفهوم قدسيته وفي مدى صحة المعلومات الواردة فيه[10] .

وقبل الشروع في تحليل المواقف التي ضبطناها لا بد أن نشير

---

(8) انظر تفصيل رأيهما فيما سيأتي .

(9) انظر تحليل هذا الموقف فيما سيأتي .

(10) نفس الملاحظة . قارن مع مفهوم الظاهرة عند مالك بن نبي في كتابه **الظاهرة القرآنية** ، 1981/1402 ، دار الفكر ، دمشق ، 63 .

الى كون المنطلق واحدا بالنسبة الى الجميع ، وهو الإقرار بوجود آيات قرآنية كريمة فيها دعوة الى التأمل في الكون وما فيه من كائنات . لكن الاختلاف يبدأ مع كيفية فهم هذه الآيات وتحديد الدلالات التي سيقت من أجلها .

الفصل الثاني

تحليل تفصيلي لمذاهب العلماء في التفسير العلمي للقرآن

1ـ المعارضون مطلقا :

أ ـ الممثلون لهذا المذهب دون التحيز الى العلم :

ـ أبو إسحٰق الشاطبي :

يمثل هذا الفريق من العلماء القدامى أبو إسحٰق الشاطبي . وقد أقام رفضه للتفسير العلمي للقرآن على مفهوم الأميّة . فالشريعة في نظره ينبغي أن تكون أمية لأنها نزلت في قوم أميين[11] . وليس من الحكمة في نظره أن يخاطب القوم بما لا يفهمون[12] وأن يكلفوا ما لا يعقلون[13] . وإن ما جاء في القرآن الكريم من آيات تذكر الأرض والسماء وما فيهما من كائنات لا يتجاوز ما زكاه القرآن من علوم كانت معهودة للعرب أيام نزول القرآن ، ذكر منها

---

(11) **الموافقات،** أبو إسحٰق الشاطبي ، مطبعة المكتبة التجارية ، 69/2 .

(12) ن . م ، 85/2 .

(13) ن . م ، 88/2 .

علم النجوم[14] ، وعلم الأنواء[15] ، وعلم التاريخ ، وأخبار الامم الماضية ، وعلم الطب ، وأعرض عن ذكر الباطل منها كعلم العيافة[16] ، والزجر[17] ، والكهانة[18] ، وخط الرمل[19] ، والضرب

---

(14) علم أحكام النجوم : علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية من أوضاعها ... على الحوادث الواقعة في عالم الكون والفساد من أحوال الجو والمعادن والنبات والحيوان . **مفتاح السعادة** ، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زاده ، مصر 1968 ، 337/1 .

(15) الأنواء : في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أربع من أمر الجاهلية لن يدعهن الناس : النياحة والطعن في الأنساب والأنواء : يقول الرجل:سقينا بنوء كذا وكذا،والإعداء أجرب بعير فأجرب مائة فمن أعدى الأول » **مسند الإمام أحمد** ، 1313 هـ ، مصر ، 526/2 ؛ وفي **لسان العرب** ، مادة : نوأ ، الأنواء : ج نوء وهو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق في كل ليلة الى ثلاثة عشر يوما وهكذا كل نجم منها الى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوما فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة ... وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها . وقال الأصمعي:الى الطالع منها في سلطانه فتقول : مطرنا بنوء كذا .

(16) علم العيافة أو علم قيافة الأثر : وهو علم باحث عن تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر في الطريق القابلة للأثر . **مفتاح السعادة**،353/1 .

(17) علم الطيرة والزجر : عكس علم الفأل إذ المطلوب في الفأل طلب الإقدام على الأمر وفي الزجر طلب الهرب عن الأمر وهو تشاؤم الإنسان بشيء يرد المناظر والمسامع مما تنفر منه النفس ... مثلا إذا أراد العرب سفرا يطيّرون طيرا فإذا طار عن اليمين يتوجهون الى المقصد وإن طار عن اليسار يرجعون عن السفر . **مفتاح السعادة** ، 362/1-363 .

(18) علم الكهانة : وهو مناسبة الأرواح البشرية مع الأرواح المجردة من الجن والشياطين واستعلامها منها الأحوال الجزئية الجارية في عالم الكون والفساد لكنها مخصوصة بالأمور المستقبلة ، وكان ذلك في العرب كثيرا.**مفتاح السعادة** ، 364/1 .

(19) علم الرمل : وهو الاستدلال بأشكاله الاثني عشر على أحوال المسألة حين السؤال =

بالحصى والطيرة[20] . ويؤكد الشاطبي على أن تلك العلوم التي كانت لدى العرب لا تتجاوز حصيلة تجاريب الأميين ، فلا وجه لمقارنتها بما عند الأقدمين مما هو مبني على العلوم الطبيعية[21] . لذلك أخطأ من أضاف الى القرآن : « كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها »[22] .

وبتحليل كلام الشاطبي يتبين :

1 ـــ أنه لم يرفض وجود العلم مطلقا في القرآن إنما رفض اشتماله على العلوم التي لم تكن معهودة لدى العرب زمن نزوله .

2 ـــ أن ما ورد في القرآن من آيات العلم يمتاز بسمة الصدق لأن القرآن اقتصر على العلوم الصحيحة دون الباطلة مما كان موجودا لدى العرب . ومن هنا لم يطرح الشاطبي مشكل التوفيق بين الشريعة والعلوم الحكمية لعدم وجود مناسبة المقارنة بينهما في نظره .

هذا الذي ذهب اليه الشاطبي جعله محلّ نقد ومؤاخذة ، لأن

= وأكثر مسائله أمور تخمينية مبنية على تجارب غير كافية . **مفتاح السعادة** ، 360/1 .

(20) **الموافقات** ، 72/2 ـــ 75 . انظر تعريف الطيرة فيما سبق في تعريف علم الطيرة والزجر .

(21) **ن . م** ، 74/2 .

(22) **ن . م** ، 79/2 .

القرآن ليس قَصْرًا على العرب وعلى الأميين إنما هو دعوة عالمية تخاطب العربي وغير العربي ، والأمّي والحكيم ، زمن النزول وبعده . يقول تعالى في هذا المعنى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ على عَبْدِهِ لِيَكُونَ للعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[23] ويقول ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَـٰكَ إلاَّ كَافَّةً للناسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[24] . لذلك اشتدّ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في الرد على الشاطبي ، واعتبر الأساس الذي بنى عليه نظريته أساسا واهيا ورده من ستة وجوه[25] . وإذا حاولنا أن ننصف الشاطبي نقول : إنّ المعاني التي أوخذ بعدم مراعاتها في هذا الموضوع ، كرغبة القرآن في تغيير أحوال العرب ، وعموم الدعوة وتنوع معاني القرآن على إيجازه[26] ، لا يمكن الادعاء عليه بأنه ينكرها أو أنه لا يعتقد في صحتها . فهو يقول مثلا : إن الشريعة

---

(23) **الفرقان** ، 1 .

(24) سبا ، 28 .

(25) انظر **التحرير والنوير** ، الدار التونسية للنشر ، ج 1 ، ك:1 ، 44-45 .

يتعلق الوجه الأول بمقاصد القرآن : أتى القرآن لينتقل بالعرب من حال الى حال من الجهل الى العلم .

ويتعلق الوجه الثاني بطبيعة الدعوة القرآنية : العموم .

وتتعلق بقية الوجوه الأربعة بالمعاني القرآنية : فالقرآن لا تنقضي عجائبه ، يعني معانيه ، فلا يصح قصرها على مبلغ العرب من العلم زمن نزوله. ومن معاني الإعجاز في القرآن إيجاز اللفظ ووفرة المعاني . وتفاوت الأفهام في إدراك معاني القرآن أمر معقول إذ أنه رب حامل فقه الى من هو أفقه منه .

(26) **ن . م** : ج : 1 ، ك : 44/1 — 45 .

بعث بها النبي الأمي ﷺ الى العرب خصوصا والى من سواهم عموما[27] ويؤكد على أن الشريعة أبطلت من علوم العرب ما كان أكثره باطلا فحولتهم عنه[28] . فإنكار وجود العلوم في القرآن لديه لا يعود الى هذه الاعتبارات ، بل إنه بنى موقفه على ما جعلته الشريعة محل اشتراك بين الناس لبساطته ويسر الإلمام به ، سواء كان ذلك في التكاليف الاعتقادية أو العملية ، مراعاة لعدم المشقة في التكليف[29] لذلك فإنه صرح قائلا : « إن الواجب في هذا المقام إجراء الفهم في الشريعة على وزان الاشتراك الجمهوري الذي يسع الأميين كما يسع غيرهم . »[30] .

ــ الدكتور محمد كامل حسين :

هذا التعليل الذي أورده الشاطبي يختلف عن تعليل باحث معاصر رفض مثل الشاطبي القول بالإعجاز العلمي في القرآن وهو : الدكتور محمد كامل حسين ، وإن كان الاثنان يلتقيان في النتائج . فإذا كان مستند الشاطبي في الرفض هو مراعاة عدم المشقة في

---

(27) **الموافقات** ، 70/2 .

(28) **ن. م.** ، 74/2 .

(29) **ن . م** ، 88/2-90 .

(30) **ن . م** ، 87/2 . لم ينكر الشاطبي تفاوت الناس في إدراك معاني الشريعة ولم ينكر مزية العلماء على سائر الناس ، لكن هذا لا يمنع مع التأكيد على كون الجميع جارين على حكم أمر مشترك وأن التفاوت حاصل فيما لم يوضع له حد يوقف عنده ووكل الى نظر المكلف . انظر **الموافقات** ، 91/2-93 .

التكاليف فإن الدكتور محمد كامل حسين يرفض مبدأ وجود العلوم في القرآن لثلاثة أسباب :

1 ـــ اختلاف الموضوع بين العلم والقرآن ،
2 ـــ اختلاف المنهجية في تبليغ حقائقهما ،
3 ـــ تخصيص الدين بمهمة يعجز العلم عن القيام بمثلها .

فبينما يهتم العلم الحديث بالطبيعيات تختص الكتب المنزلة بقوانين النفس البشرية والغيب والإلٰهيات . فهذه (يعني الكتب المنزلة) «ليس لها بالعلم الحديث صلة ولا يضيرها في شيء أن تكون بمعزل عن هذه العلوم»[31] . ومن ناحية ثانية فإنه يتعذر الجمع بين القرآن والعلم الحديث لأن القرآن لا يتبع مسار العلم في بسط حقائقه فهو دعوة الحق الأزلية التي لا تعرف تغييرا بينما يقوم العلم على التغيير المستمر في نظرياته . « وكيف يريدون أن يظل القرآن هاديا للناس إذا دأبوا على تأويله حسب تغيرات العلم الحديث وهو سريع التقدم والتغير »[32] لذلك سمى الدكتور محمد كامل حسين التفسير العلمي التفسير الحرباوي لأنه لا يقر له قرار .[33] .

ويرى صاحب هذه النظرية أن القرآن كتاب هداية منه تؤخذ

---

(31) **الذكر الحكيم** ، د. محمد كامل حسين،مكتبة النهضة المصرية ، 183 .
(32) **ن. م.** ، 186 .
(33) **ن . م** ، 187 .

العقيدة وعليه المعول في معرفة خصائص النفس المسلمة [34] لذلك ينبغي أن تنحصر مهمة التفسير في بيان هذه الجوانب والإعراض عن غير ذلك من الموضوعات . وهذا الرأي ليس غريبا عن المفسرين ولعل الجديد فيه ينحصر فيما اعتبره الدكتور محمد كامل حسين وجها من أوجه إعجاز القرآن علل به أبديته وصلوحيته لكل زمان ومكان ، وهو ما سماه : « **قوة التعبير** » التي تقوم على بساطة الفكرة ووضوح المعنى وسهولة العبارة . وهذا المعنى وإن رافق في رأيه نزول القرآن فإنه لم يقع الانتباه اليه في ذكر أوجه الإعجاز الذي تم التركيز فيه على ناحيتي البلاغة والبيان ، وهما وإن كانا يمثلان بالفعل جانب الإعجاز في القرآن بالنسبة الى العربي فإن غير العربي لا يدرك ذلك . كما لا يتأتى لمن لغتهم العربية اليوم أن يدركوا من أسرار البلاغة القرآنية ما أدركه العرب زمن النزول وبعده ، قبل أن تضعف ملكة الفصاحة في أبناء العربية[35]

وإذا قربنا بين موقف الشاطبي وموقف الدكتور محمد كامل حسين فإننا نجدهما يلتقيان في النتيجة وهي تبليغ الشريعة الى الجميع دون عناء أو مشقة[36]. وهما يعتقدان أنه في كل هذا لا

---

(34) **الذكر الحكيم** ، 5 .

(35) **ن. م.** ، 136-139 .

(36) لا ينفي هذا وجود المستويات في إدراك المعاني القرآنية كما رأينا ذلك عند الشاطبي . يظهر ذلك في التدرج الذي ذكره د. محمد كامل حسين من **التأويل** (وهو ما جرى عليه المفسرون من شرح الآيات وبيان معانيها) الى **التأمل** (وهو

نحتاج الى البحث عن العلوم في القرآن بحجة الدفاع عنه أمام التقدم الذي أصبحت عليه العلوم الحديثة والتي خشي البعض منها على القرآن وعلى الأديان بصفة عامة. [37] .

وإن موقف كل من الشاطبي والدكتور محمد كامل حسين يعتبر أن للقرآن استقلالية في موضوعه ومنهجيته وأهدافه تميزه عن العلوم ، دون أن ينال خلوه منها من مكانته ، بل ربما كان ذلك عاملا قويا في الدعوة الى التشبث بالقرآن وما يدعو اليه من مبادىء إنسانية ضرورية ليس في استطاعة العلوم أن توفرها .

هذا الموقف وإن كان لا يخلو من بعض الملاحظات الإيجابية فإنه قد نوقش ورفض ورأينا جانبا من ذلك مع الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، وسوف نرى جانبا آخر من مناقشته عند تحليل مقالة المؤيدين للقول بالتفسير العلمي .

ب ــ الممثلون لهذا المذهب مع التحيز الى العلم :

إن المتحيزين الى العلم من المعارضين للتفسير العلمي وقفو موقفا معاكسا تماما لهذا الموقف السابق وقد ظهر ذلك على يد باحثين معاصرين قدم كل واحد منهما نظرية ذكر فيها الكيفية التي

بيان مغزى التنزيل لاستخلاص الهداية) الى **التدبر** (وهو بيان أثر التأويل في نفس كل إنسان) . انظر **الذكر الحكيم**، 6-9 .

(37) **ن**. م. ، 182 .

ينبغي أن يُقيَّم بها ما جاء في القرآن بالنسبة للتقدم العلمي في العصر الحديث . والباحثان هما الدكتور محمد أركون والدكتور عاطف أحمد .

ينطلق الباحثان من منطلق واحد وهو أن دعوى اشتمال القرآن على جميع العلوم دعوى باطلة ، نعتها الدكتور أركون بكونها تيارا أدبيا ذا أهمية نفسية فائقة يعين على تأصيل الإيمان والاعتزاز بالتعاليم الإسلامية إزاء الغزو الفكري الغربي منذ القرن التاسع عشر خاصة[38] ونعتها الدكتور عاطف أحمد بكونها محاولة لتطويع النص الديني للعلم الحديث[39] بالتوفيق بينهما . ووصفها بكونها قضية خاسرة بحكم التاريخ وحكم المنطق وحكم الواقع[40] . ولم يقف كلاهما عند رفض التفسير العلمي بل تجاوز ذلك ليرفع عن القرآن معنى العلم والروح العلمية وبالتالي المنهجية العلمية بالمعنى الحديث .

ـ الدكتور محمد أركون :

اهتم الدكتور أركون باللغة وطرق البحث الجديدة في دراستها

---

(38) مفهوم العلم في القرآن والتفكير المعاصر ، د. محمد أركون، محاضرة ألقيت في الملتقى الثاني عشر للفكر الإسلامي (مرقونة) ، 1 .

(39) **نقد الفهم العصري للقرآن** ، د. عاطف أحمد ط. أولى ، 1972 م، دار الطليعة ، 75 .

(40) **ن . م** ، 6 .

ليبرهن على أن مفهوم **العلم** في القرآن يختلف كليا عن مفهوم **العلم** في التفكير الحديث . وخرج بهذه الملاحظة بعد قراءة القرآن بالطريقة اللفاظية (LEXICOLOGIE) يعني على ضوء المناهج **اللسنية** الحديثة . ثم انتهى به البحث الى التأكيد على أن العلم في القرآن أو **معجم الإدراك** بصفة عامة لا يستند الى العقل مباشرة بل الى الإيمان ، أي الى القلب[41]. وعالم الإيمان هو عالم الوجدان والتصورات المثالية والغيبية التي كثيرا ما يقع التعبير عنها بالمجاز وهو من مشمولات القوة المخيلة دون القوة العقلية .

نتج عن هذا :

1) أن الدعوة الى العلم الواردة في القرآن دعوة الى نوع من العلم هو الذي أتى به الوحي أي القرآن .

2) أن طبيعة العلم في القرآن لا ترتكز على العقل بل على النشاط التعقلي . والفرق بين هذا وذاك أن في العقل شكا منهاجيا ومنازعة واحتجاجا وتكذيبا وتجربة وتحقيقا رياضيا عن طريقها جميعا يتم الوصول الى النتائج العلمية المقنعة ، بينما يقوم النشاط التعقلي على التصديق والإسلام لما علَّم الله تعالى[42] .

ولا يخفى في نظر الباحث أن مفهوم العلم في التفكير الحديث

---

(41) وما يتبع ذلك في معجم الايمان كما ذكره في البحث ، 8 .

(42) **مفهوم العلم في القرآن** ، 8 .

يجب أن يحتل مرتبة الشرف ، وهو الذي ينبغي أن يطبق على الأمور الدينية . وهذا يعني الدعوة الى التخلي عن منطق الوحي إلى منطق مستحدث هو حصيلة فلسفة ماركس المادية التاريخية ، ونظرية اللاشعور والتحليل النفسي لفرويد ، وانتقاد القيم لنيتشه[43] .

إن الدكتور أركون لم يطرح مشلكة علاقة القرآن بالعلم من زاوية توجه الإجابة نحو القول بالإيجاب أو الإنكار ، إنما حوّلها الى وجهة تجعل طرحها أمرا غير مشروع لأن الكلمة المحورية فيها يعني **العلم** ، لها من المفاهيم في القرآن ما لا يتفق مطلقا مع مفاهيمها في العلم الحديث في نظره . ومن هنا لم يَرْمِ الدكتور أركون من قراءته الجديدة للقرآن الى التوفيق الذي نلمسه لدى الدكتور مصطفى محمود مثلا في كتابه «القرآن محاولة لفهم عصري»[44] إنما دعا الى تجاوز هذه العقلية بكل أنواع المشكلات التي عالجتها ، ومحاولة الانطلاق من القرآن مباشرة دون أي تأثير ديني ممكن لاكتشاف خصائص التفكير الذي دعا إليه القرآن وما ينبغي استنتاجه من ذلك فيما يتعلق بقدسيته[45] .

ـ الدكتور عاطف أحمد :

إن النتيجة التي وصل اليها الدكتور عاطف أحمد لا تختلف عن

---

(43) **مفهوم العلم في القرآن** ، 10-11 .

(44) ط. 4 ، 1973 ، بيروت .

(45) Le Problème de l'authenticité divine du Coran dans: Lectures du Coran Editions G.P. Maisonneuve et Larose, 1982

هذه التي بلغها الدكتور أركون وإن كان في تعليليهما تنوع . ففي حين أن الدكتور أركون ينكر القول بوجود العلم في القرآن بالاعتماد على اختلاف مفهوم الكلمة في القرآن وفي العلوم الحديثة ، فإن الدكتور عاطف أحمد يستند في إنكاره الى ما ادعى ملاحظته من تناقض بين القرآن والعلم الحديث فيما يتعلق بالموضوع الذي نحن فيه .

وأيد الدكتور عاطف أحمد موقفه بثلاثة أدلة :

1 ــ عدم مطابقة المعاني العلمية الحديثة للتركيب اللغوي الحرفي في القرآن كما فسره اللغويون والمفسرون الأوائل .

2 ــ عدم مطابقة مجموع الآيات في الموضوع الواحد لنفس الحقيقة العلمية المعاصرة .

3 ــ مطابقة ما في القرآن لما كان عليه الناس من المعاني زمن النزول[46]. إن الحقائق القرآنية تعتمد في نظر الدكتور عاطف أحمد على الخصائص الظاهرية للأشياء[47] ، وعلى المفاهيم السائدة في عصر النزول[48]. يظهر ذلك جليا على المستوى اللغوي في القرآن[49] ، وعلى المستوى الفكري الذي تناول به المفسرون

---

(46) **نقد الفهم العصري للقرآن** 81-80,61 .

(47) ن . م ، 76ـ78 .

(48) ن . م ، 81-80,60 .

(49) ن . م ، 67 .

معاني القرآن . وأورد الدكتور عاطف أحمد لبيان مذهبه أمثلة متعددة ناقش في أغلبها الدكتور مصطفى محمود في كتابه المذكور[50] .

يرى الدكتور عاطف أحمد أن اللغة أداة للتفكير وبالتالي فهي تُشَكَّل تلقائيا وفقا لموضوع التفكير وطبيعته[51].وموضوع السور القرآنية وعظي وليس تعليميا[52].والحديث عن العلم لا يكون إلا بلغة العلم[53].لذلك يقدم القرآن «حول طبيعة الأرض والسماء والشمس والنجوم ... مفهوما محددا بوضوح ومتناقضا في نفس الوقت مع الحقائق العلمية» [54].ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت الاكتشافات العلمية المعاصرة من نصيب العلماء المسلمين من قديم العصور .

واعتمد الدكتور عاطف احمد في دحض ما اتى به الدكتور مصطفى محمود تفسير الطبري لأنه يعتبره حجة في الفهم الصحيح للقرآن على ضوء المعطيات اللغوية .

---

(50) من ذلك مسألة كروية الأرض ، ص : 62 ، وانعدام الحياة على سطح القمر ، ص : 66،والحركة الخفية في الكائنات المادية ، ص : 67 ، والسديم الذي منه خلقت الأرض والسماء ، ص : 68 الخ ... انظر القسم التطبيقي من هذه الدراسة .

(51) ن . م ، 83 .

(52) ن . م ، 81 .

(53) ن . م ، 83 .

(54) ن . م ، 83 .

ج ــ مناقشة هذا المذهب :

إن الدكتور محمد أركون والدكتور عاطف أحمد ، خلافا للشاطبي والدكتور محمد كامل حسين، دعا كل واحد منهما الى تجاوز المنطق القرآني الى بديل علمي لا يمكن الاستغناء عنه اليوم . نتج عن هذا أن رفض وجود العلوم المعاصرة في القرآن يعني رفض قدسية القرآن باعتباره كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو بالتالي استغناء عن المهمة التي اختص بها القرآن دون غيره ، تلك المهمة التي تحدث عنها الدكتور محمد كامل حسين والتي سوف يؤكد عليها أيضا ممثلو القسم الثاني من المعترضين على التفسير العلمي للقرآن وهم المعترضون المحترزون . ولا يمكن في مناقشة الباحثين الجمع بينهما في صعيد واحد لاختلاف وجهتي نظريهما في رسم الطريق التي قادتهما الى نفس النتيجة .

إن المغمز الذي طعن به الدكتور أركون في جنب «**العلم القرآني**» وجعله سببا في إقصاء الحقائق القرآنية عن الحقائق العلمية بالمفهوم العصري اعتبره غيره ، وأخص بالذكر روجي قارودي (R. Garaudy) الميزة العليا والمزية الإيجابية الكبرى التي كانت سببا في ظهور العلوم عند المسلمين وجعلت ظهور العلوم لديهم رحمة لهم ولغيرهم لا وبالا عليهم وعلى غيرهم . فالإيمان في الإسلام خلافا لما تبيّنّا عند الدكتور أركون وطبقا لوجهة نظر قارودي هو الذي فجر ينابيع العلوم لدى المسلمين وأعطاها وجهتها

رفع المسبهم

التي ينبغي أن تسير عليها[55] . كما أن الدعوة الملحة التي أبداها الدكتور اركون الى تطبيق الإشكالية الحديثة أي اشكالية الحقيقة المركبة على الأمور الدينية ليشارك الفكر الاسلامي « الباحثين على مستوى الوضع البشري في نضالهم الجريء ضد جميع أسباب التعبيد للإنسان »[56] ، هذه الدعوة قائمة على أساس العلمانية الوضعية،وهي كما وصفها قارودي طريق مسدودة لا جدة فيها لأنها لا تفسر الظواهر إلا عن طريق ما هو موجود وتقتصر في تصوير المستقبل على إحداث تركيبات جديدة لعين ذلك الموجود[57] .

إنه من اكبر الخطأ أن نعتبر المنهجية الحديثة للعلوم قيِّمة على المنهجية القرآنية وذلك بالرجوع الى حقيقة كل واحدة منهما . فالعلوم لا تعمل إلا في نطاق ما هو موجود بينما يأتي الدين بالجديد أي بما يتجاوز الوضع الراهن الذي حددته الظواهر التاريخية الماضية .

ومن الخطأ كذلك أن تطبق منهجية العلوم الحديثة على القرآن دون مواعاة اختلاف طبيعة كل واحد منهما . لأن مثل هذا يعتبر تحديا لقواعد الابستيمولوجيا ذاتها التي تراعي في دراسة المنهجية طبيعة الموضوع بالنسبة الى كل علم[58] . ولا يمكن دراسة

---

(55) R, Garaudy, Promesses de l'Islam, editions Du Seuil, 1981, 19, 76, 93.

(56) **مفهوم العلم في القرآن** ، 12 .

(57) Promesses de l'Islam, 95

(58) يقول باشلار Bachelard في هذا المعنى : « =

القرآن إلا بمراعاة كونه ومضة (scintillation)[59] إلـٰهية . وهو أمر وإن كان واقعا إلا أن المنطق الوضعي لا يستطيع تَمثُّله .

أما مناقشة نظرية الدكتور عاطف أحمد عن التناقض الذي قال به بين القرآن والعلوم فإننا نقوم بها في موضعين : عند عرض نظرية القائلين بوجود العلوم في القرآن وفي القسم التطبيقي من هذه الدراسة . ولا يفوتنا أن نذكر بأن ما قلناه في رد مذهب الشاطبي الذي قيد المفاهيم القرآنية بمفاهيم العرب الأميين فعطل بذلك طريق الاستنباط يصلح للرد على بعض ما ذهب اليه الدكتور عاطف أحمد .

2 ــ المعارضون المحترزون :

أ ــ الممثلون لهذا المذهب :

إن جميع من سنذكرهم في هذا القسم من البحث يلتقون في الخطوط الرئيسية بالصنف الأول من المعترضين أعني غير المتحيزين الى العلم في تحمسهم الى التمسك بالقرآن موضوعا ومنهجا وأهدافا ، لكنهم يختلفون عنهم من حيث إنهم لم يجعلوا القطيعة حاسمة بين القرآن والعلوم الحديثة . فإنهم وإن عارضوا القول

= Il n'y a d'épistémologie que d'une science, comme il n'y a d'histoire que d'une science et non de la science en général.«Encyclopaedia Universalis, 6/372.

(59) Promesses de l'Islam, 31.

بالتفسير العلمي فقد أكدوا على عدم وجود تضارب بين حقائق العلم وحقائق القرآن .

أجمَع على هذا الرأي عدد من العلماء المعاصرين نذكر منهم الشيخ محمد حسين الذهبي والشيخ محمود شلتوت والدكتور أحمد الشرباصي ومحمد باقر الصدر ، والأستاذ أمين الخولي والدكتورة بنت الشاطىء والدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب .

واختلفت درجة اهتمام كل واحد منهم بهذا اللون من التفسير من الدراسة الوجيزة والملاحظة العابرة[60] الى الدراسة المركزة[61] . واتفقت كلمة أصحاب هذا المذهب على عدم اعتبار القرآن كتاب علم أي أنه يخالف في نظمه المؤلفات التي ظهرت في العلوم قديمها وحديثها كالفيزياء والكيمياء والبيولوجيا الخ ... [62] .

لذلك أخطأ كل من جعله محتويا على جميع العلوم[63] وفقا

---

(60) انظر على سبيل المثال : د. احمد الشرباصي ، **قصة التفسير** ، دار القلم ، 1962 م، 122 ، محمود شلتوت ، الفتاوى ، ط 2 ، دار القلم 424-426 .

(61) انظر على سبيل المثال أمين الخولي ، **مناهج تجديد** ، 287-296 ؛د. بنت الشاطيء ، **القرآن والتفسير العصري** ؛ محمد حسين الذهبي : **التفسير والمفسرون** ، 3/140-185 .

(62) الشرباصي ، 125 ؛ الخولي ، 294-295 ؛ محمد باقر الصدر، **مقدمات في التفسير الموضوعي** ، 34 .

(63) الشرباصي، 125 .

للتعريف الذي أورده الخولي لِهذا النوع من التفسير حيث قال : « وهو التفسير الذي يحكّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها »[64] .

غير أن هذا التعريف لم يمنعهم من القول بوجود آيات في موضوعات علمية متفرقة[65]،وأن هذه الآيات لا تعارض بينها وبين ما تقرره العلوم التي يمكن إدراجها فيها . يقول أمين الخولي : « فلعله يكفي في هذا ويفي ألا يكون في كتاب الدين نص صريح يصادم حقيقة علمية يكشف البحث أنها من نواميس الكون ونظم وجوده . »[66] لكن الذي أكد عليه هؤلاء أن ورود الحقائق العلمية في القرآن لم يكن على سبيل التفصيل والتحليل ، إنما كان على سبيل العموم والإجمال[67] . ويقوم رفض هذا الفريق المبالغةَ في قبول التفسير العلمي على طائفة من الأسباب اشتركوا في بعضها وتوزع البعض الآخر منهَا على الأفراد . وفي إجمال هذه الأسباب ما يصور العقلية التي أملت عليهم هذا الموقف .

---

(64) الخولي ، 287 .

(65) الشرباصي ، 125 ؛ محمد باقر الصدر ، 35 ؛ د. بنت الشاطىء ، 85 .

(66) 294-295 ، انظر في نفس المعنى الشرباصي : 127 ؛ الشيخ محمود شلتوت نقلا عن كتاب د. عبد المجيد عبد السلام المحتسب ، **اتجاهات التفسير في العصر الحديث** ط. أولى ، 1393/1973 ، دار الفكر ، 306 ؛ محمد حسين الذهبي 160/3 .

(67) الشرباصي ، 125 ؛ محمد باقر الصدر ، 35 .

ب ــ الأسباب الداعية الى رفض التفسير العلمي :

1 ــ أن القرآن موجه الى عموم الناس بينما يتوجه العلم الى أهل الاختصاص[68] لذلك لا يُعتمد في الحقائق القرآنية إلا على المشاهد والأمور القريبة من الإدراك[69] .

2 ــ يخاطب القرآن النفوس بينما يخاطب العلم العَقول فكانت الأهداف في القرآن نفسية وجدانية مطيتها التأمل المتدين والاعتبار النفسي بينما لا تهدف العلوم الى شيء من ذلك.[70] .

3 ــ تتسم الحقائق في القرآن بالاستقرار بينما تخضع النظريات العلمية الى التغير المستمر[71] لذلك يعرض التفسير العلمي القرآنَ الى البلبلة ويفضي الى النيل من قدسيته .

4 ــ لم يرد التفسير العلمي عن السلف[72]، لذلك كانت الدعوة اليه دعوة الى الانصراف عن التفسير الذي بلغنا عن مدرسة النبوة[73]. وفي هذا ما فيه من تحويل وجهة المعاني القرآنية ومفهوم الإعجاز في القرآن كما قررته مدرسة النبوة ، وفيه ما فيه

---

(68) محمد باقر الصدر ، 36 .

(69) الخولي ، 295 .

(70) الخولي،295 .

(71) الخولي،294 ، محمود شلتوت نقلا عن المحتسب،306 .

(72) د. بنت الشاطىء 6-7 تقريظ كتبه محمد فريد وجدي على كتاب علي فكري ، **القرآن ينبوع العلوم والعرفان** ، ط أولى ، دار إحياء الكتب الغربية ، 9 .

(73) د. بنت الشاطيء ، 91 .

أيضا من تجهيل للرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم بما أصبح عليه التفسير على ضوء العلوم المستحدثة التي لم تكن قد ظهرت في عصر النزول ولا بعده . كما أن في هذا التفسير تصرفا غير مشروع في اللفظ القرآني والبلاغة القرآنية إذ تُفسر فيه الألفاظ بمعان لم تكن قد اكتسبتها زمن النزول ويفترض المخاطبون ملمّين بما لم يكن قد ظهر بعد من العلوم[74]

5 ــ التفسير العلمي تفسير طارىء وليد أحداث مستجدة في العصر الحديث نتجت عنها في المجتمعات الإسلامية تحديات قومية وحضارية[75] تعود أساسا الى انبهار الشرق بما بلغه الغرب من تقدم علمي ورقي حضاري ، لذلك سعى القائلون بالتفسير العلمي للرد على هذه التحديات وللفوز بالقرآن في إعجازه ومفهوم صلاحيته لكل زمان ومكان ، سعوا الى التأكيد على اشتمال القرآن على أسباب تفوّق الغرب ، يعني العلوم الحديثة[76] . كل هذه الأسباب جعلت التفسير العلمي في نظرهم تكلفا مغلوطا والتزاما بما لا يلزم يحوّل القرآن عن طبيعة دعوته التي تفرد بها ولا يمكن لغيره أن يحل محله في القيام بها .

ج ــ مناقشة هذا المذهب :

إن المبادىء التي يقوم عليها هذا الاتجاه جعلته لا يقوى على

(74) الخولي ، 293 .

(75) د. بنت الشاطيء ، 40 .

(76) الخولي،294 ؛ د. بنت الشاطيء ، 41,8 ؛ الذهبي 159/3 .

الصمود أمام النقد . إن كون القرآن ليس كتاب علم بالمعنى الذي يطلق على تأليف في الرياضيات أو في العلوم الطبيعية أمر لا ينبغي أن يخفى على أحد . لكن التسليم بأن القرآن لم يعارض بصفة عامة نظرية علمية أصبحت قانونا مع التأكيد على المسائل التي تم ذكرها لإبطال القول بالتفسير العلمي ، هو الذي أدخل الاضطراب على هذا المذهب . إذ كيف السبيل الى العلم بذلك إلا بالمقارنة ، ولا تتأتّى هذه إلا إذا توفرت عناصرها يعني الموضوع والمنهجية والنتائج .

ثم إن إقامة المقارنة والخروج بنتيجة إيجابية يؤكد على الاتحاد بين الميدانين في الموضوع والمنهجية والنتائج . ولا عبرة بعدد المسائل المطروحة فالمسألة والمسألتان تكفيان لإبطال الأسباب التي قدموها للطعن في الاشتغال بالتفسير العلمي .

كما أن ما أكد عليه أصحاب هذا المذهب من توجه القرآن الى العامة يفترض أمرين :

أ ــ مفهوما ثابتا للعقلية عند العامة يمتاز بالبساطة والخطأ غالبا في إدراك حقائق الأشياء .

ب ــ انسلاخا للخاصة عن عقليتهم حتى ينزلوا الى مستوى العامة في فهم حقائق كتابهم .

والواقع أن لفظة العامة متحركة تختلف في مستواها الفكري من

بيئة الى أخرى ومن عصر الى آخر . فهي اليوم صادرة في تكوينها عن وسائل الإعلام الحديثة : المذياع والتلفزة اللذين يستوي في التلقي عنهما المتعلم وغير المتعلم ، والصحف والكتب الموجهة لأكبر عدد ممكن من القراء المتعلمين . وهذه الوسائل جميعا تلتقي في تصوير عقلية معينة تؤمن بمنطق معين هو المنطق العلمي ، ربما كانت لا تدركه في جزئياته لكنها تسلم تسليما كليا بنتائجه . فكيف سيخاطب النص الديني هذه العقلية ؟ فهو :

ـــ وإما أن يتصادم معها فتكون القطيعة .

1 ـــ أن يبقي على ذاتيته إن أمكن ذلك .

2 ـــ أن يدخل تغييرات جوهرية في ذاتيته إن تعذر التوفيق .

ـــ وإما أن يتصادم معها فتكون القطيعة .

فإذا صنفنا القرآن حسب المحترزين من المعترضين في تيار التوفيق مع الإبقاء على الذاتية داهمتنا دون شك تساؤلات لم يغفل عن ذكرها أصحاب هذا الاتجاه وبقوا موزعين بين ما تقوله النصوص الدينية وما يقوله العلم . فكيف العمل وما اكتشفه العلم الحديث كان مجهولا قبل العصور الحديثة ؟ .

هل نقول إن إلمامنا بمعاني القرآن اليوم أتم بل أصح من إلمام السلف بمعانيه ؟ وكيف السبيل الى التنظير بين الحقيقة العلمية المتطورة والحقيقة القرآنية الثابتة المطلقة ؟ .

إن هذا الاتجاه ليس واضحا تماما في مقرراته فهو من جهة يعارض القول بالتفسير العلمي ومن جهة أخرى يؤكد على عدم التصادم بين ما جاء في القرآن وما قررته العلوم . ومن هنا نرى الدكتورة بنت الشاطىء التي اشتد نكيرها على التفسير العلمي ورأت فيه ضلالا وخلطا ماسخا لحرمة الدين ، مهينا لمنطق العصر وكرامة العلم[77] ، نراها لا تمانع في أن يخوض أهل الاختصاص العلمي في تفسير الآيات التي لها مساس باختصاصهم . فهي تقول : «قد أفهمُ أن يتكلم طبيب فيما يفهمه من آيات قرآنية يمكن أن تتصل بالطب ، وأن يكتب خبير زراعي فيما يفهمه من آيات القرآن في النبات والفاكهة والزرع ولواقح الرياح ، وأن يلتفت خبير كيميائي الى آية القدرة الالٰهية في تسوية بنان الإنسان لا يشتبه ببنان غيره من ملايين البشر » ...[78] . وتضيف الدكتورة بنت الشاطىء قائلة: « ولكن الذي لا أفهمه وما ينبغي لي أن أفهمه هو أن يجرؤ مفسرون عصريون على أن يخوضوا في كل هذا فيخرجوا على الناس بتفاسير قرآنية فيها طب وصيدلة وطبيعة وكيمياء وجغرافيا وهندسة وفلك وزراعة وحيوان وحشرات وجيولوجيا وفسيولوجيا وتكنولوجيا »[79].وهي تشير بهذا الى أن تفسير الآيات تفسيرا علميا ينبغي أن يكون قصرا على أهل الاختصاص .

فإذا سلم أصحاب هذا الاتجاه بهذه الفكرة فإنهم يفرطون بالتالي

---

(77) د. بنت الشاطيء ، 7 .

(78) ن . م ، 85 .

(79) ن . م ، 86 .

في الأسباب التي قدموها لمعارضة التفسير العلمي وقد سبق تفصيلها .

ومما يؤاخذ به هذا الاتجاه ما أقامه أصحابه من اثنينية بين تحقيق الهداية،وهي مهمة القرآن في نظرهم ، والحقيقة العلمية؛فكأنهما ضدان لا يلتقيان ، وكأنما الطريق الى الوجدان لا ينبغي الاقتصار فيها على ما هو حق وتجنب كل ما هو باطل . يقول أمين الخولي : « ومن هنا قد يبدو في تعبير القرآن ما يظهر متعارضا مع شيء من المقررات العلمية وإن أمكن التوفيق بينهما ولا أحسب أن عليه بأسا بشيء من هذا ولا فيه ضير »[80] .

هذه الفكرة هامة في البحث ولعلها تثمل الحد الفاصل بين الفريقين:فريق المعارضين للتفسير العلمي وفريق المثبتين له . ولعلها أيضا الفكرة التي صدر عنها بعض الباحثين مثل الدكتور موريس بوكاي (Maurice Bucaille) في موقفه من التفسير عندما بين أن من لا يعرف القرآن تصيبه الدهشة إذا ما لاحظ الجمع بين حقائقه وحقائق العلم ، لأن الرأي السائد اليوم يعتقد أن الخرافات أو الأساطير هي الأسس التي أقيمت عليها المسائل الدينية[81] . وسوف نتبين فيما سنحلله من آراء أصحاب هذا المذهب ما يشرح هذا الرأي ويركزه .

---

(80) الخولي ، 295 .

(81) M. Bucaille, la Bible, le Coran et le Science, 115 .

إن موقف المعارضين المحترزين وإن حاول الابتعاد عن القول بالتفسير العلمي فإنه يعتبر ممهدا الى التسليم به[82]،وقد لمسنا ذلك في موقف الدكتورة بنت الشاطىء التي قصرت إنكارها على الخائضين فيه بدون علم ، وفتحت مجال البحث فيه لأولي الذكر من المختصين . وربما كان هذا هو الاتجاه الصحيح في المسألة لذلك نقسم المثبتين للتفسير العلمي قسمين : المثبتون مطلقا ، المثبتون المعتدلون .

3 ــ المثبتون مطلقًا :

أ ــ الممثلون لهذا المذهب :

إن أصحاب هذا المذهب يعتقدون أن القرآن حوى جميع العلوم دون استثناء وهي فكرة قديمة نشأت مع دخول العلوم الحكمية اليونانية في الفكر الإسلامي وعرفت بقضية التوفيق بين الحكمة والشريعة في بحوث فلاسفة الإسلام كابن رشد وغيره من الفلاسفة المشائين[83].والأساس الذي أقام عليه فلاسفة الإسلام هذه الفكرة يتمثل في اعتبار أن كلا من الشريعة والحكمة حق والحق لا يضاد نفسه فلا بد إذن من التقاء الحكمة والشريعة في النتائج وإن اختلفت مناهجهما في البحث عن الحقيقة .

---

(82) وإن كان القول بوجود العلوم في القرآن أسبق في الظهور من القول بخلوه منها لكن المقصود هنا التفسير العلمي على ضوء العلوم الحديثة .

(83) انظر كتاب **فصل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال** لابن رشد éditions Carbonel, 1948 أبو الحسن العامري ، 86-87 .

ـ أبو حامد الغزالي :

ولم تكن هذه الفكرة قصرا على الفلاسفة ، فقد صرح بها الغزالي أيضا عندما قال : « أو ما بلغك أن القرآن هو البحر المحيط ومنه يتشعب علم الأولين والآخرين »[84]. ولم نصنّف الغزالي بين الفلاسفة لموقفه المعروف منهم أولا ولكون تعليله اشتمال القرآن على جميع العلوم يختلف عن تعليلهم . فقد اتجه فيه اتجاها صوفيا ربط ظهور العلوم في القرآن بالذات الإلـٰهية وجعل الطريق الى إدراك أسرار القرآن غزارة العلوم وصفاء القلوب .

يقول الغزالي في « الإحياء » : « فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته،وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته،وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن إشارة الى مجامعها »[85].ثم يضيف وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدين وتجردهم للطلب ... فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير[86] .

ـ جلال الدين السيوطي :

ثم جاءت نفس هذه الفكرة عند السيوطي ولأهميتها عنده

---

(84) **جواهر القرآن** ، ط. 5 ، 1981/1401،دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 8 .

(85) **إحياء علوم الدين** ، 1939/1385 ، كتاب **آداب تلاوة القرآن** ، الباب الرابع: في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل ، 296/1 .

(86) **إحياء علوم الدين**،300/1 .

اختصها بتأليف سماه « الإكليل في استنباط التنزيل » ، كما عقد لها بابا خاصا في « الإتقان » تحت عنوان « في العلوم المستنبطة من القرآن وهو النوع الخامس والستون». ومما جاء فيه: «وأنا أقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء . أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض وما في الأفق وتحت الثرى . »[87] .

وأدلة السيوطي مستمدة من الكتاب والسنة والأخبار المروية عن الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين . ومما استشهد به من الآيات قوله تعالى ﴿ ما فَرَّطْنَا في الكِتَـٰبِ مِن شَيْء ﴾[88] وكذلك ﴿ وَنَزَّلْنَا عليك الكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِكل شيء ﴾[89] .

وذكر من الأحاديث قوله ﷺ « ستكون فتن ، قيل : وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم »[90] كما استعرض عددا هائلا من الأخبار رواها عن مثل ابن مسعود والحسن والشافعي وابن مجاهد وغيره .[91]

---

(87) **الاتقان في علوم القرآن** ، 1368 هـ ، المطبعة الحجازية المصرية، 129/2 .
(88) الأنعام ، 39 ؛ **الاتقان** ، 125/2 .
(89) النحل ، 89 ؛ **الإتقان** ، 125/2 .
(90) **الاتقان** ، 125/2-126 . انظر الحديث كاملا في **صحيح الامام الترمذي** ، 1292 هـ ، أبواب ثواب القرآن ، باب ما جاء في فضل القرآن ، 149/2 ؛ والحديث مروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وعلق عليه الترمذي بقوله : «هذا حديث لا نعرفه الا من هذا الوجه واسناده مجهول. وفي الحارث مقال» .
(91) **الإتقان** ، 126/2 .

هذه الأدلة هي عينها أدلة الغزالي غير أن الغزالي نحا في تأويلها منحى صوفيا لا نجده بارزا عند السيوطي .

ــ طنطاوي جوهري :

واستمرت فكرة اشتمال القرآن على جميع العلوم الى عصرنا الحاضر ومعتمد العلماء فيها عموما هو معتمد السيوطي ومن هم على رأيه ولكن الأهداف تنوعت . فلئن كان إبراز جانب الإعجاز هو أساس الفكرة عند الأقدمين[92] فقد أضاف اليه المعاصرون جانبا دفاعيا عن القرآن لتبرئة ساحته ورفع مسؤولية الانحطاط الذي آل إليه المسلمون عنه . فسبب تأخر المسلمين في نظر هؤلاء يعود الى تخلّيهم عن العمل بما دعاهم اليه كتابهم خاصة فيما فاقت فيه أوروبا المسلمين اليوم يعني علوم الكائنات بصفة عامة . وفي ذلك يقول الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره الجواهر : « ليعلّم كل عالم أو ملك أمته جميع العلوم باعتبار أنها من الإسلام كما سيظهر إن شاء الله في هذا التفسير فإذا أبي المسلمون ما ذكرناه فإني أنذرهم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقد بدت بوادرها في الطيارات القاذفات على القرى والشيوخ والصبيان »[93]. فالتفسير العلمي في نظر الشيخ طنطاوي جوهري له مهمة لا بد أن يقوم بها . فهو الذي سيخرج من هذه الأمة « من يفوقون الفرنجة في

---

(92) نقل ابن سراقة عن بعضهم أن الاعجاز في القرآن يعود الى كونه جامعا لعلوم يطول شرحها ويشق حصرها . **الإتقان** ، 122/2 .

(93) **الجواهر في تفسير القران الكريم**، ط 1350 هـ ، 8/1 .

الزراعة والطب والمعادن والحساب والهندسة والفلك وغيرها من العلوم والصناعات »[94] .

ب ـ مناقشة هذا المذهب :

إن هذا الموقف الحماسي لأصحاب الاتجاه الأول في القول بالتفسير العلمي يعتبر وليد ظروف قاسية عاشتها المجتمعات الإسلامية بعد أن فقدت سيادتها على المستويات الفكرية والسياسية والاقتصادية . فظهرت بوادر الإصلاح منطلقة من القرآن تحاول التغلب على عقدة الشعور بالنقص التي ابتليت بها الجماعة الإسلامية[95]، فنادت بأن ما تفاخر به أوروبا اليوم هو في الواقع ملك لنا من أربعة عشر قرنا تخلّينا عنه ولا بد من العودة اليه . وهذا هو الرأي الذي فسرت به الدكتورة بنت الشاطىء حماس الداعين الى التفسير العلمي[96]، ولم تر في ذلك سوى مخدر للجماهير لا يزيد الخرق إلا اتساعا[96] .

ولا يخفى أن النقد الذي تمت به معارضة هذا الاتجاه يعتبر في

---

(94) **الجواهر**، 3/1 . انظر كذلك مقدمة كتاب **كشف الاسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية** للدكتور محمد بن أحمد الإسكندراني الطبيب ، 1297 هـ ، المطبعة الوهبية ، 3/1 .

(95) يقول طنطاوي جوهري في **تفسيره**، 267/1: « إن مصر لا تزال طفلة في هذا الموضوع (العلوم بصفة عامة) وعلمها قليل جدا بالنسبة لأوروبا » .

(96) **القرآن والتفسير العصري** ، 38-40 .

محله فإن من يقف على تآليف فريق المتحمسين للتفسير العلمي أمثال طنطاوي جوهري ، وعلي فكري ، والطبيب الإسكندراني وغيرهم يلاحظ أنهم قد حملوا الآيات ما لا تتحمله من المعاني واعتبروا علمية القرآن في مجرد إشارته بالكلمة العادية يبنون عليها علما كاملا في كلياته وجزئياته(97) .

ويصح أذ توصف أمثال هذه التفاسير بالتكلِف الذي يتنافى مع الإعجاز(98)،كما يصح القول بأنها ابتعدت بالقرآن عن الهداية التي لا تكون إلا مع البساطة والوضوح(99) .

فالذي يشعر به القارىء، وهو يطالع مثل هذه التآليف، هو أن التفسير الذي أتت به للآيات القرآنية قد جر إليها جرا من الخارج حتى إنه لا تتبين له العلاقة في كثير من الأحيان بين الآية والمعنى الذي ذكر في شرحها .

وعلى هذا الأساس صنفنا القائلين بالتفسير العلمي قسمين ،

---

(97) انظر **تفسير** طنطاوي جوهري لقوله تعالى : « وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت » العنكبوت ، 41 ، ونكتفي فيما يلي بتقديم عناوين الفقرات التي أوردها في شرح الآية لنكون فكرة عن منهجية المؤلف في التفسير : العنكبوت (العنكبوت البناء ــ عنكبوت البساتين ــ العنكبوت أيضا ــ لطيفة ــ كيف تعيش العنكبوت ــ نسيج العنكبوت ــ أنواع الصناعات العنكبوتية ــ هل يجوز رسم الحيوان في التفسير ــ لطيفة ــ **الجواهر 14/144-159** .

(98) محمود شلتوت نقلا عن المحتسب،306 .

(99) محمد باقر الصدر ، 34 ؛ محمد عزة دروزة ، **التفسير الحديث** ، 24/1

وسوف نرى أن الاختلاف بين أنصار القسم الأول الذي رأيناه وأنصار القسم الثاني الذي سيأتي اختلاف جذري لا من حيث المبدأ والغاية فإنهما متحدان ، ولكن من حيث المنجية المتبعة.فهي مع القسم الأول مسلطة على القرآن من خارج بينما هي مع القسم الثاني نابعة من النصوص .

4 ـ المثبتون المعتدلون :

أ ـ المعاني التي انبثق عنها هذا المذهب :

نظر بعض الباحثين في القرآن فلاحظوا فيه :

1 ـ ذكر حقائق لم تكن معروفة زمن نزول القرآن ثم اكتشفها العلم الحديث واتفق فيها مع ما ذكره القرآن بشأنها .

2 ـ عدم ذكر نظريات خاطئة كانت سائدة زمن نزول القرآن.

3 ـ وجود كلمات في القرآن لا يمكن إدراك حقيقة المراد منها إلا على ضوء تطور العلم في دائرة الاختصاص التي تنتمي إليها .

ثم عمدوا الى هذه المعاني وردوها الى البيئة التي ظهرت فيها ، فإذا هي قد ظهرت في قوم كان كل علمهم الشعر[100] . وجاء

---

(100) **التحرير والتنوير** ، ج 1 ، ك 125/1 .

الكتاب الحامل لها يعني القرآن على يد نبيّ أمي[101] يدرك كل منصف بُعدَه عن العلوم التي كانت في عصره فما بالك بالعلوم التي ظهرت في العصر الحديث . فلم يكن بُدٌّ الوقوف على هذه الملاحظات من طرح السؤال التالي :

هل يمكن ان يكون القرآن صدر عن بشر ؟ .

ب ــ اعجاز القرآن :

لا يخفى أن هذا السؤال يثير قضية لازمت القرآن منذ ظهوره هي قضية الإعجاز ، لكن في إعادة طرحه مع المثبتين المعتدلين للتفسير العلمي جدة أَثْرَتْ مفهوم الإعجاز في القرآن وأضافت إليه ما غفل عن ذكره القدامى من مفهومه ودعا اليه تطور الأمور الذي يتأكد معه خاصيتان للقرآن هما : بقاؤه على مر العصور ، وعمومه لكافة البشر .

خاض القدامى في إعجاز القرآن فأثبتوه ، وبينوا وجوهه وتباينت أقوالهم فيه ، فمنهم من أكد على فصاحة اللفظ ، ومنهم من أشار الى بلاغة النظم ، وآخرون نبهوا الى صدق المعاني وما فيه من إخبار بالغيب ، وعمد بعضهم الى جمع ذلك كله وجعل القرآن معجزا بها مجتمعة[102] ؛ لكن تركيز القدامى على البحث في الإعجاز

---

(101) انظر معنى كلمة أمي في **تفسير الطبري جامع البيان**، ط. 2، 1954/1373 ، مصر 374-373/1 .

(102) انظر **نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض** لأحمد شهاب الدين الخفاجي ط . أولى ، 1327 هـ ، مصر 544-473/2 .

كان على جهة النظم القرآني أو البلاغةالقرآنية[103].ولفرط تأكيدهم على هذا الجانب ونجاحهم العجيب في دراسة مسائله تأثرت بهم الأجيال المتعاقبة فاقتفت آثارهم فيه ووقفت عند حدودهم . «فوقر في الروع أن إعجاز القرآن لا يكون إلا في هذه الناحية البلاغية التي تتعلق بالأسلوب والعبارات والكلمات وموسيقاها وصياغتها فقط »[104] .

وارتأت مجموعة من الباحثين المعاصرين أن الوقوف عند هذه المعاني لبيان جانب الإعجاز في القرآن لم يعد كافيا ، ومن أبرز القائلين بذلك الشيخ محمد عبده[105] ، والشيخ محمد الطاهر ابن عاشور[106] ، والشيخ محمد متولي الشعراوي[107] ، والرافعي[108] ، وعبد الرزاق نوفل[109] ، والاستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد[110] ، والدكتور البشير التركي[111] . يرى هؤلاء أن من معجزة القرآن

---

(103) انظر **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن** للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، 1968م دار المعارف بمصر . يعتبر الخطابي أن الكلام يقوم بثلاثة أشياء «لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لها ناظم » . وإنما صار القرآن معجزا «لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني » . 27 .

(104) محمد عبد الحليم أبو زيد ، إعجاز القرآن ، **مجلة الأزهر** ، المجلد : 18 ، 1947/1366 ، 560 .

(105) **تفسير المنار**، ط. الرابعة 1373 هـ ، دار المنار ، مصر ، 210/1 .

(106) **التحرير والتنوير** ج 1 ، ك 104/1-105 .

(107) **معجزة القرآن** ، ط. أولى ، 1983 ، تونس .

(108) **اعجاز القرآن** ، محمد صادق الرافعي ، ط. 8 ، مصر .

(109) **بين الدين والعلم** ، دار مطابع الشعب ، بدون تاريخ ، 141 .

(110) **مجلة الأزهر** ، المجلد 18 ، 560 .

(111) **لله العلم** ، ط. أولى،1979/1399 ، تونس ، 88 .

أن يكون قد ادخر للبشر من أوجه التحدي ما كان الله وحده يعلم أن البشرية ستصير اليه يعني الاتجاه العلمي . وفي هذا المعنى يقول الرافعي : « ثم إن في ذكر الآيات الكونية والعلمية في القرآن دليلا على إعجاز آخر فهو بذلك يومىء الى أن الزمن متجه في سيره الى الجهة العلمية القائمة على البحث والدليل ، وأن الإنسانية ذاهبة الى أرقى عصورها الى هذا المذهب ، وأن الدين سيكون عقليا ، وأن العقل هو آخر أنبياء الأرض فوجود ذلك فيه قبل أن يوجد ذلك في الزمن بأربعة عشر قرنا شهادة ناطقة من الغيب لا يبقى عليها موضع شبهة.»(112) .

ولئن كان القرآن قد أعجز فصحاء العرب ببلاغته فإنه اليوم يعجز البشرية بمعانيه وبالعلم الذي أودع فيه*. فإن معجزة الأنبياء إنما تكون فيما اشتهر بين القوم من أمور . واستند كثير من أصحاب هذا الاتجاه الى قوله ﷺ « ما من الأنبياء نبيء إلا أوتي (أو أعطي) من الآيات ما مثله آمن عليه البشر . وإنما كان الذي أوتيت (أو أوتيته) وحيا أوحاه الله الي، وإني أرجو (أو فأرجو) أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة »(113) .

---

(112) **إعجاز القرآن** ، 146 . انظر كذلك **الله العلم** ، 171 ؛ تفسير **المنار** 210-208/1 .

(*) نشرت جريدة «أخبار العالم الاسلامي» (2 محرم 1406 / 16 سبتمبر 1985 العدد : 939) في صفحتها الأولى خبرا تحت عنوان: «المؤتمر الطبي عن الاعجاز العلمي والطبي في القران الكريم» ذكرت أنه سينعقد بمصر بين 8-11 من المحرم 1406 الموافق لـ 23-26 سبتمبر 1985 .

(113) **التحرير والتنوير** ، ج 1 ك 128/1 . انظر الحديث في **فتح الباري** لابن حجر ، المطبعة السلفية . كتاب فضائل القرآن . باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل . والحديث مروي عن أبي هريرة رضي الله عنه 3/9 .

ذكر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور أن المناسبة بين كونه أوتي وحيا وبين كونه يرجو أن يكون أكثرهم تابعا لا تظهر إلا إذا كانت المعجزة صالحة لجميع الأزمان حتى يكون الذين يهتدون بدينه لأجل معجزته أمما كثيرين على اختلاف مشاربهم فيكون بذلك هو أكثر الأنبياء تابعا لا محالة(114) .

ومما يلفت الانتباه تحقق هذا الرجاء بالفعل فنحن نسمع عن كثيرين من أصحاب المكانة العلمية المرموقة قد آمنوا بالقرآن لأجل ما تبين لهم فيه من حقائق ما كان يتيسر لبشر أن يأتي بها زمن نزول القرآن . وأغلب هؤلاء لا صلة لهم باللغة التي نزل بها القرآن، ولا بالعلوم القرآنية التي درس بها القرآن على مر الأزمان بل كان خوضهم في معانيه خوضا علميا صفته الأولى الموضوعية والتجرد من كل فكرة مسبقة يمكن أن تتلون بها النتائج التي يؤدي إليها البحث(115) .

ج ــ مفهوم العلم في القرآن عند المثبتين المعتدلين :

لا نطيل الوقوف عند الآيات القرآنية التي دعت الى العلم ورفعت من شأن العلماء ، وبينت المنهج العلمي الصحيح الذي ينبغي اتباعه ، ودعت الى نبذ غيره مما نأى بالإنسان عن طريق الحق . فقد أطنب في ذلك أغلب من طرق هذا الموضوع واستشهد

---

(114) **التحرير والتنوير** ، ج 1 ، ك 129/1 .

(115) انظر Bucaille ، 122,11 .

بمثل قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ٱلَّذِي عَلَّمَ بالقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[116] وبقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰؤُا﴾[117] . وبقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[118] .

ونود أن نركز في هذه الفقرة على مفهوم العلم في القرآن كما فهمته هذه المجموعة لندرك مدى اختلاف ما قرروه بشأن هذا الموضوع عما قرره غيرهم مثل الدكتور أركون ، والدكتور عاطف أحمد . وسبقت الإشارة في بداية الحديث عن المثبتين المعتدلين للتفسير العلمي الى مجموعة من الملاحظات لفتت انتباههم وسلموا القول بفضلها بالتفسير العلمي . وحتى تزداد فكرتهم وضوحا نستعرض في إيجاز ما حللوا به تلك الملاحظات .

الملاحظة الأولى : الاتفاق الكلي بين القرآن ومقررات العلوم الحديثة[119] :

وردت هذه الملاحظات عمن لم تكن له في البداية علاقة عقدية بالقرآن ويعتبر من رجال العلم في العصر الحديث وهو الدكتور

---

(116) العلق ، 1-5 .

(117) فاطر ، 28 .

(118) الزمر ، 10 .

(119) قارن مع ما جاء عن د. عاطف أحمد في هذا الموضوع .

موريس بوكاي الذي سنعتمده كثيرا لأجل اهتمامه بهذا الموضوع ولأجل كتاباته المدقّقة فيه[120] . كما وردت عمن كان يملك الإيمان بالقرآن وهو من رجال العلم في العصر الحديث أيضا ، فزاده ما لاحظه من اتفاق بين حقائق القرآن وحقائق العلم إيمانا على إيمانه مثل الدكتور البشير التركي صاحب مجلة « العلم والإيمان »[121] وكتاب « لله العلم »[122] ــ والدكتور خالص جلبي في كتابه « الطب محراب الإيمان »[123] والدكتور عبد الغني عبود في كتابه « الاسلام والكون »[124] . ولم يقتصر هؤلاء جميعا على ملاحظة عدم وجود التضارب بصفة عامة بين حقائق العلم وحقائق القرآن بل إنهم استنتجوا ذلك من أمثلة دقيقة بعدما فسروها وأتوا بالمقارنة بين ما ذكره القرآن بشأنها وما حققه العلم فيها .

فذكر الدكتور بوكاي أمثلة تتعلّق بخلق السماوات والأرض وقارن ما قرره القرآن بشأنها بما جاء عن ظهورها في العلم الحديث ، ثم اختص كلا من السماء والأرض ببحوث متنوعة ، ثم أورد أمثلة تتعلق بعالمي النبات والحيوان ، وقارن أخيرا بين ما جاء في القرآن والعلم في موضوع تناسل الإنسان[125] . ففي كل هذه

---

(120) انظر Bucaille ، 122,10، 157، 164، 178، 183، 185، 196، 204، 205 .

(121) بدأت في الصدور في مارس 1972 .

(122) انظر **لله العلم** حيث جاء « أن المفهوم العلمي للرعد والبرق متفق تماما مع ما أتى في كتاب الله العزيز » 169 . انظر كذلك ص : 197 .
وانظر «الظاهرة القرآنية» للأستاذ مالك بن نبي، 128ــ268.

(123) ط 2 ، 1982/1402 .

(124) ط 2 ، 1982 م، دار الفكر العربي .

(125) راجع فهرس كتاب La Bible le Coran et le Science. 113-210 .

الأمثلة أكد بوكاي على الاتفاق الكلي بين ما جاء في القرآن وما أكد صحته العلم الحديث .

الملاحظة الثانية : تجنب القرآن ذكر النظريات الخاطئة السائدة في عصره[126] :

يمكن أن تعتبر هذه الخاصية القرآنية نتيجة للخاصية الأولى وهي بمثابة عكس النظرية . وقد وردت هذه الملاحظة عن أغلب من خاضوا في هذا الموضوع . فقد أكد عليها الدكتور بوكاي في عدة مناسبات مثل حديث القرآن عن التنظيم الفلكي[127]،وعن المياه[128] ، وعن مفهوم الظل[129]،وعن أصل الحياة[130]،وعن تطور الجنين في بطن أمه[131]. كما أكد عليها الدكتور البشير التركي عند حديثه عن خلق الإنسان في القرآن[132] . وبسط القول فيها الدكتور كاصد ياسر الزيدي في كتابه « الطبيعة في القرآن الكريم»[133]

---

(126) قارن مع ما جاء عند د. عاطف أحمد في الموضوع .

(127) Bucaille ، 161 .

(128) ن . م ، 174 .

(129) ن . م ، 184-185 .

(130) ن . م ، 189 .

(131) ن . م ، 206 .

(132) **لله العلم** 197 حيث جاء : « وأن وصف الإنسان في القرآن ابتداء من البويضة الأنثوية والحيوان المنوي الذكري الى حين الولادة وتكوين اللبن والرضاعة هو وصف ينطبق تماما مع ما اكتشفه اليوم العلماء بفضل أحدث الآلات المعقدة كالمجهر الالكتروني وغيره وهو وصف يخالف كل ما كان معروفا ومتداولا بين الشعوب في زمن نزول القرآن » .

(133) 1980 ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية .

الملاحظة الثالثة : العلم الحديث ضروري لفهم بعض معاني القرآن[134] :

هذه ملاحظة هامة لأنها تتعلق مباشرة بفهم القرآن وبالمنهجية التي ينبغي اتباعها مستقبلا في تفسيره . وهي كما نلاحظ لا تمانع في أن يكون فهم بعض الآيات متوقفا على تقدم العلوم ، كما نلاحظ أنها تعتبر مجاوزة التفسير بالمأثور أمرا ضروريا للإحاطة بمعاني بعض الآيــات على وجهه الحقيقي[135] . وأيد أصحاب هذا الرأي موقفهم بعدد من الأدلة نجملها فيما يأتي :

1 ــ تخير اللفظ في القرآن :

من أسباب الدقة في التعبير القرآني تخيّر اللفظ واستعماله دون غيره . وقد كشف بعضهم عن سر هذا التخيّر ، ولاحظ أنه يدل على مزية مطابقة اللفظ للواقع . ومثل الدكتور بوكاي لذلك بعدد من الألفاظ رأى أنه لا يمكن استبدالها بغيرها في السياق الذي وردت فيه إلا أن يقع مخالفة الأمر الواقع . وذكر من هذه الألفاظ ما يلي :

علق : في قوله تعالى ﴿ خَلَقَ الإنسٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾[136] .

---

(134) قارن مع ما جاء عند الشاطبي وأمين الخولي في الموضوع .

(135) قارن مع ما جاء عند د. بنت الشاطيء في الموضوع .

(136) العلق ، 2 ؛ 204 ، Bucaille .

دخان : في قوله تعالى ﴿ ثم اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ وَهْيَ دُخَانٌ ﴾[137] .

رتق ــ فتق : في قوله تعالى ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَٰوَٰتِ والأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾[138] .

مُخَلَّقة : في قوله تعالى ﴿ يٰأيها النَّاسُ إنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِنَ ٱلْبَعْثِ فإنَّا خَلَقْنَٰكُم مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾[139] .

2 ــ الحقيقة العلمية من مرجِّحات المعنى في الآية القرآنية :

اعتبر الدكتور بوكاي أنه من الخطر على القرآن أن يفسَّر أو تتم ترجمته على يد من لا يسمح له تكوينه بالتفطن الى مقصود القرآن من استعمال بعض الكلمات التي يحتاج تفسيرها وترجمتها الى الإلمام بالعلوم اللغوية أولا ، وكذلك بعدد كبير من العلوم المتنوعة الأخرى[140] .وضرب مثلا لذلك بكلمة **فلك** في قوله تعالى ﴿ كُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[141] . وأيد مقالته بما ذكره

---

(137) فصلت ، 11 ؛ 141,149 ، Bucaille .

(138) الأنبياء ، 30 ؛ 140,148 ، Bucaille .

(139) الحج 5 ؛ 206 ، Bucaille . انظر تفسير د. البشير التركي للفظة «زينّا» . في قوله تعالى ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ (فصلت ، 12) في **لله العلم** ، 122-123 . انظر امثلة أخرى في القسم التطبيقي من هذا البحث .

(140) 123,124,187 ، Bucaille .

(141) الأنبياء ، 33 ؛ 161 ، Bucaille .

الطبري عند تفسير هذه الآية،ومفاده أنه يجب الإمساك عن القول عند الجهل[142]

كما ضرب مثلا بكلمة « **لَمُوسِعُون** » في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُون ﴾[143] التي تعثرت أقلام المترجمين فيها فذكروا من الترجمات ما لا يناسب معناها حتى تم تفسيرها على ضوء النتائج العلمية الحديثة في المنتخب الصادر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة[144] .

ويمكن أن نعتبر ما جاء في « الكشاف » للزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ الذي خَلَقَ السَّمَـٰوٰتِ والأَرْضَ ومَا بينهما في ستةِ أيام﴾[145] مؤكدا على هذه الملاحظة ، فإن الزمخشري قد مال الى جعل المقصود باليوم ما هو معروف من أيام الدنيا وضعّف قول من اعتبر أن المقصود إنما هو يوم من أيام الآخرة وطوله ألف سنة . وصرح الزمخشري بقصور الفهم البشري عن إدراك سبب تحديد العدد بستة وربط ذلك بالعقيدة حيث قال : « وأما الداعي الى هذا العدد،أعني الستة دون سائر الأعداد،فلا نشك أنه داعي حكمة **لعلمنا**

---

(142) **جامع البيان** ، 17 / 23 .

(143) **الذاريات** ، 47 .

(144) Bucaille 168.ذكر الرافعي في كتابه **إعجاز القرآن** ما يلي : « وإن في هذه العلوم الحديثة على اختلافها لعونا على تفسير بعض معاني القرآن والكشف عن حقائقه . » 143 .

(145) الفرقان ، 59 .

أنه لا يقدر تقديرا إلا بداعي حكمة وإن كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته »[146] . ثم ذكر خبرا من الرواية أبان عن الحكمة من هذا العدد وهي أن يعلم الخلق الرفق والتثبت ولولا ذلك ما كان يستعصِي على الإله أن يخلق السمٰوات والأرض في لحظة. إن لهذا التعليل صبغة عقدية أخلاقية وهو لا يرمي الى تفسير الواقع بل إنه يعترف بالعجز عن إدراك العلاقة بين الرقم وبين الواقع . وهذا مما ينبىء بالفراغ العلمي الذي يمكن بارتفاعه إيجاد العلاقة كما تم بالفعل في العصر الأخير . لذلك فإن هذا التعليل يختلف كليا عن ذلك الذي قدمه الدكتور بوكاي والذي رجح فيه تفسير (يوم) بما هو مخالف لما عليه اللفظ في الدنيا ، وجعل تفسيره بالفترة أو المرحلة الزمنية هو المقصود وذلك :

1) لأن لفظة **يوم** كما تستعمل في اللغة للتعبير عن المعنى المعروف يعني الفترة الممتدة بين طلوع الشمس وغروبها ، فإنها تستعمل للتعبير عن الفترة الزمنية أو عن الوقت مطلقا[147] .

2) لأن القرآن أعطى لفظة **يوم** معنى الفترة الزمنية حين قال : ﴿ وإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾[148] أو ﴿ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[149] .

---

(146) **الكشاف**،288/3 .

(147) Bucaille ، 137 . انظر **لسان العرب** ، مادة يوم .

(148) الجح ، 45 .

(149) المعارج ، 4 .

3) لأن هذا التفسير يناسب الواقع الذي كشف عنه العلم الحديث وتتبين معه استحالة تسليم القول بتكوين العالم في ستة أيام من أيام الدنيا .

غير أن الدكتور بوكاي ذكر أن العلم لم يصل بعد الى تحديد مراحل تكوين العالم وضبطها في ست مراحل[150] ، لكن الدكتور البشير التركي ضبطها وجعلها لا تتجاوز هذا العدد وذكر ما حدث في كل مرحلة منها[151] .

3 ــ الجهل بالعلوم مدعاة الى الخطأ في التفسير :

وردت هذه الفكرة عند الرافعي حين قال : « ذلك وأن من أدلة إعجاز هذا الكتاب الكريم أن يخطىء الناس في بعض تفسيره على اختلاف العصور لضعف وسائلهم العلمية »[152] وأكد عليها الدكتور بوكاي من خلال أمثلة ذكرها ، كالمثال المتعلق بمأتى اللبن في جسم الحيوان[153] ،وكلمة **علق** التي منها يتم خلق الإنسان[154] .

ولا ينبغي أن يفوتنا في كل هذا التذكيرُ بما أكد عليه أصحاب

---

(150) Bucaille, 138 .

(151) **لله العلم** ، 121-122 .

(152) **إعجاز القرآن**،143 .

(153) Bucaille, 197 .

(154) **ن . م** ، 200 وما بعدها .

هذا الاتجاه من أن القرآن وإن ذكرت فيه حقائق علمية فإنه يختلف في أسلوبه ومنهجيته وأهدافه عن كتب العلم . جاء هذا عن الشعراوي في كتابه « معجزة القرآن » حين قال : « إن الذين يقولون إن القرآن لم يأت ككتاب علم صادقون . ذلك أنه كتاب أتى ليعلمني الأحكام ولم يأت ليعلمني الجغرافيا أو الكيمياء أو الطبيعة »[155] . كما جاء عن الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور عندما اعتبر أن جلب المسائل العلمية في شرح الآيات يكون على سبيل الاسترواح لا على سبيل القصد والغرض الأصلي للآية[156] . وأكد الدكتور بوكاي على هذا المعنى عندما اعتبر أن هدف القرآن ليس أن يتبسط في ذكر القوانين التي يسير عليها العالم بل أن يلفت الانتباه الى عظمة القدرة الإلـٰهية[157] كما وردت نفس الفكرة عند الدكتور البشير التركي عندما قال : « إن القرآن وحي إلـٰهي لا ريب فيه وإنه كتاب علم وهذا لا يعني أنه يحتوي على المعادلات العلمية والنظريات العلمية ولكنه يعني أنه **نابع من روح العلم وجوهره** ، كما أن القرآن معجزة بلاغية فهذا لا يعني أنه يحتوي على قواعد البلاغة ولكنه يعني أنه نابع من روح البلاغة وجوهرها . »[158]

د ــ رد شبهات المعترضين على التفسير العلمي للقرآن :

ومن المفيد أن نقف مع المؤيدين المعتدلين عند أهم الشبهات

---

(155) **معجزة القرآن** ، 47 .

(156) **التحرير والتنوير** ، ج 1 ، ك 1/42-43 .

(157) Bucaille, 124 .

(158) **لله العلم** ، 143 .

رفع المسهم

التي كان أثارها المعترضون على التفسير العلمي وقد مر عرضها عند الحديث عن نظريتهم لنرى موقف المؤيدين المعتدلين منها . وتلك الشبهات هي :

1 ــ صفة التغير في العلم ،
2 ــ كيفية فهم القدامى للآيات الكونية ،
3 ــ اليُسْر الذي ينبغي أن تتصف به الشريعة في أقوالها .

الشبهة الأولى : صفة التغير في العلم :

من أهم مستندات الرافضين للتفسير العلمي عدم استقرار النظريات العلمية[159]. لكن المؤيدين دفعوا هذه الشبهة واعتبروها غير ذات بال . ومن أهم من بحث فيها الدكتور البشير التركي[160] ، وعبد الرزاق نوفل[161]، والدكتور بوكاي[162] . وخلاصة رأيهم أنه يجب أن لا تتم المقارنة بين القرآن والعلوم الحديثة إلا بعد أن ترتقي النظرية العلمية الى مستوى الحقيقة العلمية . ويتمثل الفرق بينهما في كون النظرية العلمية لا تعدو أن تكون تفسيرا لظاهرة أو لمجموعة من الظواهر يصعب فهمها من أول وهلة[163] بينما تعتمد الحقيقة العلمية على أدلة قطعية لا تراجع

---

(159) انظر مقالة أمين الخولي ود. محمد كامل حسين فيما سبق .
(160) **لله العلم** ، 82-83 .
(161) **بين الدين والعلم** ، 136 .
(162) Bucaille, 125 .
(163) Bucaille, 125 .

فيها . فالنظرية العلمية قابلة للتغير خلافا للحقيقة العلمية .

ومثل الدكتور البشير التركي[164] وعبد الرزاق نوفل[165] للحقيقة العلمية بكروية الأرض . ومثل الدكتور بوكاي[166] بدوران الأرض حول الشمس ودوران القمر حول الأرض ، وكذلك بالأصل المائي للحياة،وأخيرا بتطور الأجنة في بطون أمهاتها .

وضبط الدكتور بوكاي بعض الأدلة التي تقوم عليها الحقيقة العلمية وهي : التجربة ، وتكاثف الأدلة المؤيدة عند تعذر القيام بالتجربة (مثل الأصل المائي للحياة) ، والملاحظة المباشرة . فالحقيقة العلمية إذا ظهرت لا تتغير وكل ما يمكن أن يدخلها زيادة في الضبط لا يمس جوهرها[167] .

لذلك لا يوجد أي حرج في المقارنة بين القرآن وبين الحقائق العلمية مادام ان كليهما يتمتع بالاستقرار الناتج عن المطابقة مع واقع الأمور .

الشبهة الثانية : كيفية فهم القدامى للآيات الكونية :

المستند الثاني الذي اعتمده الرافضون للتفسير العلمي يتمثل في

---

(164) لله العلم ، 83 .

(165) بين الدين والعلم ، 136 .

(166) Bucaille, 125 .

(167) Bucaille, 125 ؛ لله العلم ، 83 .

رفع المسيرهم

عدم ورود هذا التفسير عن السلف بل جاء فهمهم للآيات الكونية مغايرا أحيانا لما فسرها به اليوم المناصرون للتفسير العلمي(168) وهذه الشبهة الثانية لم يحفل بها المؤيدون للتفسير العلمي وأبطلوها مثل ما أبطلوا الشبهة الأولى. فقد اتفقت كلمتهم، القدامى منهم(169) والمحدثون(170). على أن معاني القرآن ذات مستويات: « قسم يكفي لإدراكه فهمه وسمعه، وقسم يحتاج إدراك إعجازه الى العلم بقواعد العلوم »(171).

من أجل هذا رد الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور على الشاطبي حين أكد على ضرورة أن يكون القرآن بجميع معانيه في متناول العرب، بأن جعل حصول المعنى الأصلي لديهم كافيا، مستشهدا على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: « رُبَّ حاملِ فقهٍ الى مَن هو أفقهُ منه »(172).

---

(168) انظر فيما سبق مقالة د. بنت الشاطيء في هذا الموضوع.

(169) مثل الغزالة، **الإحياء**، 124/1؛ الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ط.أولى 1957/1376، 2/153-154؛ الرازي، **مفاتيح الغيب**. ط .أولى، مصر 121/14.

(170) مثل الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ج 1، ك 1/126-127؛ Bucaille 124

(171) **التحرير والتنوير**، ج 1، ك 127/1؛ Bucaille, 124

(172) **التحرير والتنوير**، ج 1، ك 45/1. أخرج الحديث ابن ماجة في سننه، عيسى البابي الحلبي المقدمة باب: 18، باب من بلغ علما وفضله... عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: « نضّر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ». 84/1.

والمُتَأَمل في طريقة فهم القدامى للآيات الكونية يلاحظ فيه اتجاهين عكسيين :

1 ـــ منهم من حملها على ظاهرها اللغوي ،
2 ـــ منهم من تأولها وأخذ الألفاظ بمعناها المجازي .

جاء عن الرافعي في خصوص الاتجاه الأول : « فلما نزل القرآن بمعانيه الرائعة التي افتن بها في غير مذاهبهم ونزع منها الى غير فنونهم لم يقفوا علىٰ ما أريد به من ذلك بل حملوه على ظاهره وأخذوا منه حكم زمانهم . »(173) وجاء عن الشيخ محمد عبده في خصوص الاتجاه الثاني : « فهذا النوع من المعارف التي جاءت في سياق بيان آيات الله وحكمه كانت مجهولة للعرب أو لجميع البشر في الغالب حتى أن المسلمين أنفسهم كانوا يتأولونها يخرجونها عن ظواهرها لتوافق المعروف عنهم في كل عصر من ظواهر وتقاليد أو من نظريات العلوم والفنون »(174) .

ولا ينبغي أن يقال في القسم الثاني من مستويات المعاني القرآنية إنه تكليف بما لا يطاق في شأن من لا يتقنون العلوم لأنه لا يشترط أن يلمّ كل واحد بجميع معاني القرآن فإن الإلمام بالمعنى الكلي كافٍ في شأنهم .

---

(173) إعجاز القرآن ، 132 .
(174) تفسير المنار ، 212/1 .

الشبهة الثالثة : اليسر الذي ينبغي أن تتصف به الشريعة في أقوالها :

رأينا ما علل به الشاطبي معارضته للقول بالتفسير العلمي للقرآن ، ويتمثل في التأكيد على البساطة التي ينبغي أن تمتاز بها الشريعة ليستوي في الإحاطة بمعانيها الجميع بصرف النظر عن المستوى الفكري للأفراد . ولا يخفى أن رد هذا الاعتراض امر ميسور إذا ما اعتبرنا الاستواء في الإدراك حاصلا بالفعل في الآيات الكونية كما هو حاصل في بقية أنواع الآيات ذوات المواضيع المختلفة كالعقيدة والأحكام وغيرها .

فإذا أخبر الله تعالى باشتراك الكائنات الحيّة في أصل واحد هو الماء بقوله ﴿ وَجَعَلْنَا من المَاءِ كلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[175] .
أو أخبر تعالى بالحركة الدائبة التي عليها كوننا في قوله ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[176] .

أو دلنا على الحالة الأولى التي كان عليها كوكبنا بقوله :﴿ أَوَ لَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَـٰوَاتِ والأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ﴾[177] فإنه من اليسير على الجميع أن يدرك المعنى الإجمالي للآيات الكريمة وأن يحصل في نفسه المقصود من كل تلك

---

(175) الانبياء ، 30 .

(176) يس ، 39 .

(177) الانبياء ، 30 .

المعاني ، يعني الهداية والتنبيه الى مدى عظمة القدرة الإلـٰهية ، وذلك مثل ما يدرك الجميع المقصود العام من الآيات التي تدعو الى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة أو تبين طرق المعاملات على مختلف أنواعها . غير أن هذا لا يمنع أولي الاختصاص من التعمق في معنى الآيات بما يناسب المستوى العلمي الذي عليه الباحث المختص سواء كان اختصاصه في العلوم الكونية أو العلوم الشرعية . لذلك تلتقي هذه الملاحظة بالملاحظة السابقة المتعلقة بمستويات الإدراك لمعاني القرآن .

رفع المسيرهمل

الفصـل الثالـث
تقييم ما جاء في المذاهب المذكورة

لا شك أن الباحث يشعر بثقل المسؤولية وهو يقف ليختار الإجابة وسط هذه الاتجاهات المتباينة ولا يتم ذلك في نظري إلا إذا تبين بوضوح المنطلق الذي على ضوئه يتم الاختيار .

أ ــ موقف المؤمنين بالقرآن :

فإذا كان الانطلاق من الاعتقاد الراسخ في كون القرآن كتابا إلـٰهيا لفظا ومعنى ، نزل على رجلٍ أمّيّ لهداية البشر، وكل ما فيه كمال لا يمكن الشك فيه مطلقا فإن الإجابة ستكون على ضوء ما جاء في هذا الكتاب . والمتأمل في القرآن يلاحظ أنه من بين الكلمات التي كثر ورودها فيه كلمة **الحق**[178] وقد ذكرت بعدة

(178) وردت 227 مرة . انظر **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، 1945/1364 .

معان منها : الله ، القرآن ، الإسلام ، العدل ، التوحيد ، الصدق ، الحق بعينه الذي ليس بباطل[179] .

فآلله **حق** في ذاته وأقواله وأفعاله، يعني أنه ليس باطلا وأن كل ما أوجده كان بسبب ما تقتضيه الحكمة[180] .

والقرآن قوله وكلامه ، من أجل ذلك سمي **حقا** في مثل قوله تعالى : ﴿ بل كَذَّبُوا بِالحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾[181] .

وهذا يعني أن كل ما جاء في القرآن لا يمكن أن يكون إلا حقا . فكل الآيات الكونية سمتها الأولى الحق يعني الإتقان والإحكام . وهذا يؤدي الى كونها تصور ما تم بالفعل في خلق السماوات والأرض وما بينهما . يقول تعالى ﴿ خَلَقَ ٱللهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ بِالحَقّ ﴾[182] كما يقول : ﴿ أَوَ لَمْ يَتَفكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ ٱللهُ السَّمَـوَٰتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِٱلْحَقّ ﴾[183] .

ويذكر القرآن أن هذه الصفة إنما ينتبه اليها صنف من الناس هم

---

(179) **قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم** ، للحسن بن محمد الدامغاني ، ط. 2 ، 1977 م، 139-140 .

(180) **المفردات في غريب القرآن**،للراغب الاصبهاني ، المطبعة الفنية الحديثة ، 1970 م، 179 .

(181) ق ، 5 .

(182) العنكبوت ، 44 ؛ **مفاتيح الغيب** ، 70/25 .

(183) الروم ، 7 .

العلماء . يقول تعالى : ﴿ هُوَ الذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللهُ ذٰلِكَ إلاّ بالحَقّ نُفصِّلُ الآيٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[184] .لكن الذين لا يعملون كُثْرٌ ﴿ ومَا خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ والأَرْضَ وما بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ مَا خَلَقْنَـٰهُمَا إلاَّ بٱلحَقِّ ولَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[185] .

لذلك ميز الله بين العلماء وغيرهم بقوله : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذِينَ يَعْلَمُونَ والذِينَ لاَ يَعْلَمُون ﴾[186] ورفع درجة العلماء على غيرهم فقرن شهادتهم بشهادته : ﴿ شَهِدَ ٱللهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إلاَّ هُوَ والمَلٰئِكَةُ وأولوا العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لاَ إِلَـٰهَ إلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[187] .

والى جانب هذا المعنى الذي جعل القرآن بكل ما فيه حقا وقرن معرفة الحق بالعلم ، نلاحظ معنى ثانيا أساسيا يتمثل في إطلاق صفة الخلق بالنسبة الى الإٰله وتقييد صفة العلم بالنسبة الى العباد .

وبهذا المعنى يُرَدّ الاعتراض الذي يريد به أصحابه أن تتسم المعرفة في كل فرد بالشمول وبالتساوي في كل زمان ومكان . يقول تعالى ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[188] .

---

(184) يونس ، 5 .

(185) الدخان ، 36-37 .

(186) الزمر ، 9 .

(187) آل عمران ، 18 .

(188) النحل ، 8 .

رفع المسـتهمل

ـ وبتقريب هذه الآية من قوله تعالى ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾(189) نعلم أن غزارة معاني القرآن لا تنفك عن استمرارية الخلق وأنها إنما تنكشف على التدريج ، وأن الذين عاصروا نزول الوحي لم يحيطوا علما بكل معانيه .

ولا يقال عند ذلك إن هذا يؤدي الى تجهيل الرسول ﷺ بالمعاني المكتشفة في القرآن حديثا فإن الطريقة التي يعلم بها الرسول ﷺ غير الطريقة التي نعلم بها نحن. فبينما يتخذ الإنسان العادي العلوم مطية ليتدارك جهله بجقائق الأشياء ، فإن الأنبياء لا يسعون إلى ذلك بأنفسهم بل يتم لهم ذلك عن طريق الوحي . يقول تعالى : ﴿ وكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِن أَمْرِنَا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلاَ الإِيمَـٰنُ ﴾(190) كما يقول : ﴿ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الكتَـٰبَ والْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ﴾(191).لذلك يُجانِب الصوابَ كلُّ من قاس معرفة النبي عليه الصلاة والسلام بالقرآن بمعرفة غيره من الناس(192) .

فإذا كان الأمر كذلك فما هي الإجابة التي ينبغي تقديمها الى من اعتبر أن بلاغة القرآن تقتضي ألاَّ يُخاطب الناس إلا بما يفهمون

---

(189) الانعام ، 38 .

(190) الشورى ، 52 .

(191) النساء ، 113 .

(192) **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ، القاضي عياض بن موسى اليحصبي ، مصر ، 1329 هـ 42/1 ، **نسيم الرياض في شرح شفاء عياض** ، 458/1-459 .

وأن لا يكون القرآن مشتملا إلا على ما يكون فهمه في متناول العرب الذي عاصروا نزوله ؟

إن الذي يمكن أن يقال في ذلك يصور العقلية التي تتميز بها المعرفة في الفكر الإسلامي .

إن الاسلام وإن اعتبر المعرفة ممكنة ومرغبا فيها فإنه جعلها محدودة بالنسبة الى العلم الإلهي . يقول تعالى ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[193]. فهذه الصفة تجعل العالم المسلم متواضعا في علمه من جهة ويؤمن بالمسيرة العلمية من جهة أخرى . فالعلم واسع لا حدود له بالنسبة الى الذات العلية لكنه بالنسبة الى الإنسان محدود غير أن تلك الحدود لم تبين له فهو مطالَب بالبحث المستمر لا يمنعه شيء من مواصلته .

هذه المحدودية غير المحددة لا تثبط العزائم بل تهذبها وتدعوها الى المثابرة . فالمؤمن يعلم أنه يجب عليه أن يقول عندما يتوقف به البحث : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[194] لكنه لا يدّعي أن غيره سيكون عاجزا عن المواصلة .

ويبدو أن التوقف يكون أمام أمرين :

1 ــ الماورائيات أو الغيب ، يعني : « الأمر الخفي الذي لا

---

(193) الإسراء ، 85 .

(194) يوسف ، 76 .

يدركه الحس ولا تقتضيه بداهة العقل »[195] سواء نُصِب له دليل من العقل أو السمع أو لم يُنْصَب .

2 ــ ما لم يهتد الى فهمه الباحث وإن كان يعلم أن لذلك تفسيرا موجودا عند غيره. وهذا له أمثلة ذكرنا بعضها قبل هذا الموضع[196] .

فما لم يفهمه مفسر اليوم لا شك أنه يأتي من يدرك معناه في المستقبل دون أن يكون لقصور الفهم تأثير على العقيدة أو الفهم الكلي للكتاب . وهكذا إذا سلطنا أضواء هذا المنهج الفكري على المعاني القرآنية نستطيع أن ندرك سبب تنوع التفاسير المتعلقة بالمعاني القرآنية من ناحية ، كما نستطيع أن نجزم بأن هذا التنوع سيتواصل ليواكب فهمُ القرآن مسيرةَ الفكر البشري المتطور .

هذه التجربة البشرية مع المعاني القرآنية المتكشفة على التدريج دعت البعض الى ان يقترح منهجية جديدة للتفسير تراعي هذا المعنى وتضمن لتفسير القرآن السلامة من الأخطاء في الفهم . ومن أوضح ما كتب في هذا الغرض مقالة عبد الرزاق نوفل في كتابه « بين الدين والعلم » . فقد دعا الى كتابة تفسير موحد تحت إشراف مجمع إسلامي يشارك في تأليفه عدد من المختصين في كل

---

(195) **كشاف اصطلاحات الفنون** ، التهانوي ، كلكته ، 1862 ، ع ، 1090/2 .

(196) راجع **جامع البيان** في تفسير لفظة فلك 23/17 ، والزمخشري في تفسير لفظة يوم ، 288/3 .

المعارف ويعاد النظر في ذلك التفسير على رأس كل قرن من الزمان كحد أقصى أونصف قرن كحد أدنى وذلك لإضافة ما قد يكون أظهرته الأبحاث والدراسات واكتشفه العلم من حقائق جديدة تضاف الى معاني الآيات[197] .

هذا أحد منطلقين يمكن أن يتم الاختيار على ضوئه وهو الذي يعتبر القرآن حَكَما لا يمكن النيل من قدسيته ما دام أنه الحق وأنه لا ينطق إلا بالحق .

2 ــ موقف العلمانيين :

وإذا كان الانطلاق من وجهة نظر لا تراعي في القرآن الخصائص التي يقوم عليها المذهب الأول ، وترى في هذا النص أثرا تاريخيا يرتبط ارتباطا وثيقا بالبيئة والزمن اللذين ظهر فيهما، فإنه لا يخفى أن النتائج ستكون متأثرة بهذا المنطلق ، وأن النقد سيتسرب لا محالة الى الحقائق الواردة في القرآن بعد سجنها في الإطارين الزماني والمكاني وتقييدها بالمفاهيم السائدة في ذلك العصر .

ولا فائدة في إعادة ما سبق ذكره في تحليل هذا الموقف ونقده بعد ما تبيَّنَّا ذلك جميعا مع المعارضين المتحيزين الى العلم .

ومما لا يخفى فإن الموقف الأول يمثله المتدينون المؤمنون

---

(197) **بين الدين والعلم** ، 142-143 .

بقدسية القرآن ، بينما يعبر الموقف الثاني عن رأي العلمانيين والوضعيين من العلماء .

3 ــ خاصية القرآن :

إن هذا الانشطار في المواقف ما كان ينبغي أن يقع ، ذلك أن القرآن باعتباره كتابا يحتوي على أصول العقيدة و أصول الشريعة الإسلامية يتميز عن غيره من كتب الديانات الأخرى بأنه جمع بين أمرين من عادتهما أن لا يجتمعا في شيء واجد . فهو من ناحية كتاب عقيدة وكتاب أخلاق ، فيه الأوامر والنواهي ، وفيه توجيه نحو الحقيقة المطلقة وجعلها يقيناً راسخا يتحرك نحوه الفرد بكل كيانه ، وهذا ما نسميه الإيمان . وهو من ناحية أخرى كتاب علم لأن فيه دعوة إليه مع تحديد واضح لمفهومه وإطلاق لموضوعه.فباب العلم في القرآن واسع ومهما بلغ المسلم من العلم فإنه يعتقد أن وراء ما بلغه أمورا أخرى تحتاج الى المعرفة . وهذا مما يفسر كثرة العلوم في الحضارة الإسلامية وتنوع موضوعاتها . فميزة القرآن أنه ضم بين جنبيه العقيدة التي تؤدي الى الإيمان والعلم الذي يؤدي الى المعرفة وجعل بينهما رباطا وثيقا صار به أحدهما لا ينفك عن الآخر .

إن هذه الوحدة المتحققة في القرآن بين الإيمان والعلم هي التي تجعل طرح مشكل التفسير العلمي للقرآن غير شرعي . فقد تعوّد الفكر قبل نزول القرآن وبعده أن يميّز بين الميدانين لاختلافُ المنهج والموضوع بينهما لذلك ميّز ألبير بايي (A. BAYET) بين

المثل الأعلى في الشريعة والمثل الأعلى في العلم فاعتبر أن الشريعة تعتقد أنها تملك الحقيقة وفي ذلك نشوة للفكر ، بينما يدأب العلم في البحث عنها ، وتنحصر نشوة الفكر في ذلك البحث . ومن هنا يتعطل الفكر عن العمل في الشريعة بينما ينطلق حرا طليقا في العلم[198] .

ولعل ما ذكر قبل هذا يبين أن هذه القسمة لا تجوز في حق القرآن . فهو يؤكد على وجود الحقيقة مثل ما يفعل العلم ذلك ، ولا يفرضها على الفكر قسرا بل يستدرجه نحوها ويبين له سبل الوصول اليها ويربط درجة العمق في إدراكها بدرجة العمق في البحث عنها .

(198) La morale de la science, Paris, 1931, 51, 54 .

القسم التطبيقي

الفصل الأول ــ المنهجية التي ينبغي اتباعها لفهم الحقائق في القرآن الكريم .

الفصل الثاني ــ المسائل المدروسة .

الفصل الثالث ــ المنهج والمعنى في الآيات الكونية .

رفع المسبهمل

الفصـــل الأول

المنهجية التي ينبغي اتباعها لفهم الحقائق الكونية في القرآن

هذا ما أمكن جمعه من مواقف العلماء من التفسير العلمي للقرآن كلٌّ نظر إليه من زاوية خاصة فانتهى به البحث الى حيث قادته أدلته ، فنتج عن ذلك تعارضٌ في المواقف جعل الناسَ إزاء هذا الموضوع قسمين كبيرين : المعارضون والمؤيدون ، ثم اندرج تحت كل قسم ما رأيناه من تنوع تفصيلي في القول بالقبول أو الإنكار ، لكن هذا الاستعراض الوصفي للمواقف السالفة لم يعط الإجابة الحاسمة في الموضوع : هل ينبغي الاشتغال بالتفسير العلمي للقرآن أن هل يجب الإمساك عن ذلك ؟ .

ويبدو أن طرح السؤال بهذه الطريقة لن يعيننا على التقدم أكثر مما فعلنا عند استعراض أجوبة العلماء المختلفة . ولعل الطريقة

الأسلم في البحث تتمثل في التوجه المباشر الى القرآن الكريم لتدبر المعاني الواردة فيه انطلاقا من الألفاظ التي تمّ اختيارها لتأدية تلك المعاني . آنذاك نتساءل :

هل أن قراءة القرآن اليوم تكشف عن تصادم بين مقرراته وما تقتضيه متطلبات العقلية الإنسانية الحديثة التي كيفتها تطورات الفكر البشري على مدى أربعة عشر قرنا من نزول القرآن ؟

هل أن في استطاعة رجل القرن العشرين أن يجد عقليته في نص من القرن السابع الميلادي ؟ .

فهذا كما يبدو هو أصل المشكل .

فإن كان الأمر متعلقا بمسائل معينة في القرآن ننتقيها ونقيس مقررات القرآن فيها بمقررات العلم الحديث فهو أيضا يتعلق بنوعية العقلية السائدة في القرآن ومقارنتها بالعقلية البشرية التي كيفتها أساليب الرؤية المعاصرة لأجزاء العالم الذي نعيش فيه . إنهما مسألتان متماسكتان لا تنفك إحداهما عن الأخرى باعتبار كون القرآن الكريم ذكر موضوعات معينة بأساليب عقلية معينة . فهل في ذكر هذه الموضوعات وفي كيفية طرقها ما يوحي بتصنيف القرآن بين النصوص التاريخية التي تجاوزتها الأحداث ؟ أم هل أن الحقائق القرآنية المطروحة ثابتة في مقرراتها ثبوت الحقيقة الإلٰهية التي وضعتها فكانت غاية ينتهي اليها عبر طفرات الفكر البشري في مسيرته الدائبة نحو تحصيل الحقائق المطلقة .

وربما كانت هذه ــ والله أعلم ــ الميزة التي تميز بها القرآن عن غيره من الكتب مهما كان نوعها باعتبار هذا الحضور المتلازم المطرد لعنصرين لم تتساو خطاهما مطلقا عبر العصور ، أعني عنصر الزمن وعنصر الفكر . فالزمن قطار الفكر وكلما مرّ الفكر بمحطة تجاوزها الى غيرها ، وهو في كل محطة غيره في الأخرى . ولو قارنا بين الفكر في محطة زمنية سابقة وبين الفكر في أي محطة تالية للاحظنا تشابه المحطات واختلاف الفكر لنموه المطرد عبر محطات الزمن .

فالإعجاز في القرآن يتمثل في عدم خضوع نصه أي حقائقه ، الى سلطان الزمن . إنها حقائق مطلقة ، حاضرة ، كاملة لا يد للزمان في تكوينها وتنقيحها لتخرج كاملة بعد قطع الأشواط الزمنية التي لا مناص لغيرها من الحقائق من قطعها .

ولن يتسنى الوقوف على هذه الحقيقة القرآنية إلا بعد تحليل بعض المسائل التي تعرض اليها القرآن ، انطلاقا من العبارة القرآنية في أقرب معانيها مع اجتناب ما اعتبره بعضهم تأويلا للنصوص بغية تقريب الشقة بين القرآن والعلم .

فالدلالة اللغوية للكلمات وشرح النصوص القرآنية بعضها لبعض سيكونان الركيزة الأولى التي يعتمد عليها هذا التحليل .

الفصل الثاني

المسائل المدروسة

قد اخترنا تحليل ثلاث مسائل ، اثنتان منها كونيتان هما : كروية الأرض ودور الجبال في تثبيت الارض ، ومسألة فيزيولوجية أو تشريحية هي البنان ومعناها في اللغة ومقارنة ذلك بمفهوم البصمات . وسنجعل عبارة: الآيات الكونية شاملة لها جميعا باعتبار أن الانسان جزء من الكون . ولم نختر هذه المسائل لتميزها عن مثيلاتها بخصائص تجعلها في مرتبة أعلى بل ان ما توفر فيها توفر في غيرها . إنما اخترناها باعتبارها نماذج نتبين من تحليلها المنهج القرآني في طرق مثل هذه الموضوعات ، وكذلك باعتبارها فرصة نغتنمها لبيان مجانبة الدكتور عاطف أحمد[1] الصوابَ عند وقوفه عليها وعلى غيرها في كتابه : نقد الفهم العصر للقرآن ، معتقدا: «أن ملاحظتنا للنصوص السابقة (يعني الآيات القرآنية) حول طبيعة الأرض والسماء والشمس والنجوم تقدم لنا مفهوما لهذه المسائل محددا بوضوح ومتناقضا في نفس الوقت مع الحقائق العلمية »[2] .

---

(1) سبق تحليل موقفه .

(2) **نقد الفهم العصري للقرآن** ، 83 .

كروية الأرض

أ ــ كروية الأرض في القرآن حسب الدكتور عاطف أحمد :

لاحظ الدكتور عاطف أحمد أن مسألة كروية الأرض قد لاقت اهتماما متزايدا «لإثبات علمية القرآن بسبب ورودها فيه »[3] . وقد حاول في ما كتبه عنها من هذه الزاوية أن يثبت عكس ذلك معتمدا على اللغة وعلى ما جاء عند الطبري في فهم الآيات المتعلقة بهذا الموضوع .

لكن نظرة فاحصة في كتب اللغة وفي مقارنة الآيات بعضها ببعض وفي ما جاء عند بعض المفسرين في هذا الموضوع يبين محدودية تحليل الدكتور عاطف أحمد وربما عدم اهتدائه كذلك الى فهم النصوص على حقيقتها . فقد انطلق في نقده للدكتور مصطفى محمود من قوله تعالى : ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾[4] . وبعد أن أورد في إيجاز مقالة الطبري في تفسيرها وعبارة « مختار الصحاح » في تفسير فعل **كوّر** استخلص المعنى الذي ارتضاه لهذا الفعل وهو «يزيد من الليل في النهار ويزيد من النهار في الليل »[5] وجعل هذا المعنى ينطبق على فعل **ولج** في قوله تعالى : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ﴾[6] .

---

(3) ن . م ، 62 .

(4) الزمر ، 6 .

(5) **نقد الفهم العصري للقرآن** ، 64 .

(6) الحج ، 59 .

ب ـ تحليل لغوي لفعل كوّر :

وقد اتضح لنا بعد التدقيق في المعنى اللغوي لفعل **كوّر** وغيره من الأفعال التي جاءت في القرآن في نفس السياق أن النتيجة التي وصل اليها الدكتور عاطف أحمد لا يمكن أن نطمئن اليها . لذلك رغبنا في تحليل لغوي للفظة **كوّر** يذهب بها الى أصلها ويبين مرادها في سياق الآية .

إن المعنى اللغوي الأصلي لفعل **كوّر** يدل على الدوران ويمثل له عادة بلوث العمامة أي إدارتها على الرأس[7] .

وهذا هو المعنى الذي فسر به الطبري الآية الأولى من سورة التكوير حيث قال : « والتكوير في كلام العرب جمع بعض الشيء الى بعض وذلك كتكوير العمامة وهو لفّها على الرأس وكتكوير الكارة وهو جمع الثياب بعضها الى بعض ولفها . وكذلك قوله ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ إنما معناه جمع بعضها الى بعض ثم لفت فمري بها وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها »[8] .

ولفعل **كوّر** معنى ثان هو الزيادة يقول صاحب « التاج » : « الكور الزيادة أخذ من كور العمامة تقول : قد تغيرت حاله وانتقصت كما ينتقص كور العمامة بعد الشد » .[9]

---

(7) **تاج العروس** ، مادة : كور .

(8) **جامع البيان**، 30/64-65 .

(9) **تاج العروس** ، مادة : كور .

والملاحظ في هذا التعريف شيئان :

1 ـــ أنه ذكر الانتقاص لشرح معنى الزيادة في الفعل فأصبح المقصود غير واضح . وحتى يرتفع الالتباس نعود الى عبارة « لسان العرب » فهي أكثر وضوحا لأنها تعلل ذكر الانتقاص وتبين العلاقة الموجودة بينه وبين ذكر الزيادة . يقول ابن منظور : « وقولهم : نعوذ بالله من الحور بعد الكور، قيل الحور النقصان والرجوع والكور الزيادة أخذ من كور العمامة . وشرح المقصود من الزيادة بقوله « وهو من تكوير العمامة وهو لفّها وجمعها »[10] . ولا يخفى أن لفّ العمامة على الرأس يزيد في حجمها .

2 ـــ أنه ربط مفهوم الزيادة والانتقاص بمفهوم الدوران فقال : « الكور الزيادة أخذ من كور العمامة »[11] وبهذا المعنى فسر الطبري قوله تعالى : ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾[12] بقوله : « يغشي هذا على هذا كما قال : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ﴾[13] . ومعنى **يولج** عند الطبري في هذه الآية : « يدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات النهار فما نقص من هذا زاد في هذا »[14] وهو المعنى

(10) **لسان العرب** ، مادة كور .

(11) **تاج العروس** ، مادة كور .

(12) الزمر ، 6 .

(13) الحج ، 59 ، **جامع البيان** 193/23 .

(14) **جامع البيان** ، 195/17 .

الذي ذهب اليه الراغب في « مفرداته »[15] والفيروز آبادي في «بصائر ذوي التمييز »[16] وهو ذاته المعنى اللغوي لفعل **يولج**[17] . والملاحظ أن في هذا التفسير معنى الزيادة لكنه لم يبين الكيفية التي تمت بها والتي نجدها في قوله تعالى « يكور » . نرى إذن أن الاستعمال اللغوي لفعل يكور في هذه الآية يفيد معنَيْين : معنى الدوران ومعنى الزيادة وهما معنيان متكاملان ولا ينفي أحدهما الآخر .

وقد تنبه الى هذا الدكتور بوكاي الذي أكد على دقة الاختيار في فعل **كور** إذ هو يدل على مفهوم الدوران ولا يفقد هذا المعنى في جميع استعمالاته الباقية[18] .

وللتعبير عن تتابع الليل والنهار استعمل القرآن الأفعال التالية :

ــ **يُكَوِّرُ** : في قوله تعالى ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾[19] .

---

(15) **المفردات في غريب القرآن** ، مصر ، 1970 م، 835 .

(16) القاهرة ، 1964/1384 ، 392/4 .

(17) **تاج العروس** ، مادة : ولج .

(18) Bucaille 165 .

(19) الزمر ، 6 . انظر استنتاج القول بكروية الأرض من هذه الآية ومن غيرها في كتاب **الفصل في الملل والأهواء والنحل** للامام أبي محمد علي بن حزم (ت 456 هـ) ، ط. 2 ، 1975/1395، 97/2 وما بعدها .

ـــ يُولِجُ : في قوله تعالى ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ﴾[20] .

ـــ نَسْلَخُ : في قوله تعالى ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾[21] .

ـــ يُغْشِي : في قوله تعالى ﴿ يُغْشِي ٱلَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾[22] .

وهي أفعال تناسب مناسبة كلية واقع الأمور ، وذلك ما شرحه الدكتور بوكاي في كتابه وربطه بضرورة القول بكروية الأرض وهو أمر لم يكن معروفا زمن نزول القرآن[23] .

إن هذا المثال قادنا الى أمرين :

1 ـــ عدم وجود تضارب بين القرآن وبين حقيقة علمية ثابتة وهي كروية الأرض ودورانها [24] .

2 ـــ اعتماد القرآن المعنى اللغوي الحقيقي دون المعنى

---

(20) الحج ، 61 .

(21) يسٓ ، 36 .

(22) الأعراف ، 53 .

(23) Bucaille, 165 .

(24) انظر د. مصطفى محمود ، **القرآن محاولة لفهم عصري** 51 ; Bucaille, 165 ؛ د. منصور حسب النبي ، **الكون والإعجاز العلمي للقرآن** ، مصر ، 1981 م، 157 وما بعدها .

المجازي في تبليغ تلك الحقيقة العلمية . وبهذا نكون قد خالفنا بالاستنتاج الأول ما ذهب اليه الدكتور عاطف أحمد الذي لم ير ضرورة فهم كروية الأرض من آية الزمر وسّوى في المعنى بين فعلي **يكور** و **يولج**[25] . وهي كما سبق تسوية غير جائزة إلا باعتبار التكامل المعنوي الذي يستفاد من التشخيص العلمي لهذا الاستعمالات[26] والذي يحافظ على المعنى الحقيقي لكل واحدة من هذه الألفاظ .

كما خالفنا بالاستنتاج الثاني الدكتور مصطفى محمود الذي رأي في أسلوب القرآن ، في مثل هذه الموضوعات ، إشارة ومجازا ورمزا واستعارة[27] . ولن نعتبر تفسيرالطبريأو غيره من المفسرين حجة في هذه الآية مثل ما فعل الدكتور عاطف أحمد ، لأنهم كانوا عاجزين عن إدراك ما لم تتوصل العقول في زمانهم الى فهمه وتحليله . ومن هنا عمدوا الى حمل معاني الأفعال بعضها على بعض ، ففسّروا **يكور** بـ **يولج** دون تنبيه الى ما بين اللفظين من اختلاف في الدلالة يمليه الواقع في تناسب كلي مع الدلالة اللغوية الصحيحة للألفاظ .

ج ــ تحليل الآية الثامنة والثلاثين من سورة الزخرف :

ويواصل الدكتور عاطف أحمد مناقشة الدكتور مصطفى محمود

---

(25) **نقد الفهم العصري للقرآن**،64 .

(26) Bucaille, 165 .

(27) **القرآن ، محاولة لفهم عصري** ، 50 .

في إثباته لقول القرآن بكروية الأرض واستبعد تأويله لقوله تعالى :
﴿ يَـٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾[28] .

يقول الدكتور مصطفى محمود في شرحها:« وهو أمر لا يمكن تفسيره إلا أن يكون مغرب الشمس هو في نفس الوقت مشرقا لها على مكان آخر وهو أمر لا يكون إلا على أرض كروية تدور . »[29] .

وعلق الدكتور عاطف أحمد على هذا التفسير بأنه لو كان الأمر كذلك « لكان لدينا عدد لا نهائي من المشارق والمغارب إذ أنه في كل لحظة من لحظات دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس يكون للشمس شروق على مكان معين وغروب عن مكان معين ، وبالتالي يمكن بالنسبة لموقعين متتاليين على الأرض أن يكون هناك مشرقان لا يفرق بينهما سوى لحظة في الزمان ومساحة ضئيلة جدا في المكان ، ومن ثم ينتفي بل ينعكس النص تماما الى ضده . » [30] .

إن ما أراد أن يثبته الدكتور مصطفى محمود هو أن الآية تعبر عن أقصى البعد في المكان والزمان . فاعتبر أن إشراق الشمس على أقصى شمال الكوكب وإشراقه على أقصى جنوبه هو أبعد مسافة

---

(28) الزخرف ، 38 .
(29) **القرآن ، محاولة لفهم عصري** ، 145 .
(30) **نقد الفهم العصري للقرآن** ، 65 .

يمكن تصورها على وجه الأرض ، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كانت الأرض كروية الشكل حيث إن الشمس لا يمكن أن تشرق أو تغرب على القطبين المتقابلين في نفس اللحظة . ونعتبر نقد الدكتور عاطف أحمد لهذه الفكرة غيرَ سَليم . فإنه لم يراع السياق الذي وردت فيه العبارة كما أنه لا يبطل المفهوم الذي ذكره الدكتور مصطفى محمود .

لقد ذكر الدكتور عاطف أحمد أنه يوجد في الواقع عدد لا متناهٍ من المشارق والمغارب لا يفصل بين المشرقين منها في « الموقعَيْنِ المتتاليَيْن على الأرض سوى لحظة في الزمان ومساحة ضئيلة جدا في المكان »[31] . وهذا كما قلنا لا يبطل القول بوجود مشرقين متناهيين في العبد وهو ما أراده الدكتور مصطفى محمود . كما أنه لا يعارض القول بتعدد المشارق والمغارب[32] التي ورد ذكرها في القرآن في مواطن عديدة مثل آية الأعراف:﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾[33] . ولئن كان

---

(31) ن . م ، 65 .

(32) **الكون والإعجاز العلمي للقرآن** 168 .

(33) **الأعراف** 137 . فسر الرازي هذه الآية بقولين :

1) مشارق أرض الشام ومصر ومغاربها .

2) جملة الأرض باعتبار أن الأرض اسم الجنس .

مفاتيح الغيب،221/14 . وردت عبارة «المشارق» في الصافات ، 5، وعبارة «المشارق والمغارب» في المعارج ، 40 .

الطبري لم يهتد الى أن يفهم من الآية المعنى الذي يجعلها تطابق المفهوم العلمي لتعدد المشارق والمغارب والذي يرتبط بالقول بكروية الأرض ، فإن الفخر الرازي قد فعل ذلك عند شرح الآية 163 من سورة البقرة وهي قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ والنَّهَارِ والفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ ٱللهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِنَ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَـٰحِ والسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَأَيَـٰتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ . فقد اهتدى في اختلاف الليل والنهار الى تفسير ثالث يتعلق باختلافهما بالأمكنة ، بينما اقتصر مَن قبله في فهم ذلك على معنى التعاقب ومعنى الاختلاف في الطول والقصر .

يقول الرازي : وعندي فيه وجه ثالث ، وهو أن الليل والنهار كما يختلفان بالطول والقصر في الأزمنة فهما يختلفان بالأمكنة ، فإن عند من يقول : الأرض كرة ، فكل ساعة عينتَها فتلك الساعة في موضع من الأرض صبحٌ ، وفي موضع آخر ظهرٌ ، وفي موضع ثالث عصرٌ ، وفي موضع رابع مغربٌ . وفي خامس عشاءٌ وهلم جرا . » [34] .

واستعمل القرآن اللفظين الدالين على مَوْضِع الشروق والغروب في صيغة الإِفراد مثل قوله تعالى : ﴿ رَبُّ المَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ [35].

---

(34) مفاتيح الغيب، 194/4 .

(35) المزمل ، 8.

وصيغة التثنية مثل قوله تعالى ﴿ رَبُّ المَشْرِقَيْنِ ورَبُّ المَغْرِبَيْنِ ﴾[36] وصيغة الجمع وقد مر التمثيل لها فيما سبق . ولكل واحد من هذه الاستعمالات غاية معينة تناسبها ولا تتنافى مع واقع الأمور .

لقد رفض الدكتور عاطف أحمد من خلال هذا المثال ما اعتبره تأويلا شخصيا للنصوص خرق قانون التأويل وحمّل النصوص ما لا يمكن أن تتحمله من المعاني . ولمزيد التأكيد على فكرته أورد مجموعة من الآيات اعتقد أنها تفيد بصريح العبارة التي لا حاجة فيها الى التأويل ما يتنافى مع مقررات العلم الحديث عن كروية الأرض . فقد اعتبر أن في هذه الآيات عددا من الأفعال تفيد معنى تسطح الأرض وبسطها مثل فعل **مَدَّ** في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الذِي مَدَّ الأَرْضَ ﴾[37] وفعل **سطح** في قوله تعالى : ﴿ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[38] ، وفعل **دحا** في قوله تعالى ﴿ وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحيٰهَا ﴾[39] ، وفعل **طحا** : في قوله تعالى ﴿ والأَرْضِ وَمَا طَحَيٰهَا ﴾[40] وغيرها من الأفعال التي تفيد نفس المعنى[41] .

---

(36) الرحمن ، 15 .

(37) الرعد ، 3 .

(38) الغاشية ، 20 .

(39) والنازعات ، 30 .

(40) الشمس ، 6 .

(41) **نقد الفهم العصري للقرآن** ، 73.

د ـــ تحليل الآية الثلاثين من سورة والنٰزعات :

وأولى المؤلف المذكور قوله تعالى ﴿ والأرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَيٰهَا ﴾[42] عناية خاصة ، وذلك لأن باحثا عصريا هو عبد الرزاق نوفل اعتقد أن الآية تحديدا لشكل الأرض بالدحية « وهي البيضة ويعتبر هذا الوصف أدق وصف للأرض »[43] .

واعترض الدكتور عاطف أحمد على هذا التفسير بأنه لم يرد في أي مصدر من التراث الفقهي أو اللغوي وبأن معناه كما جاء في كتب التفسير وغيرها يلتحق بمعنى بقية الأفعال المذكورة يعني البسط والتمهيد للسكنى[44]. وإذا اعتبرنا اعتراض الدكتور عاطف أحمد على تفسير « **دحاها** » بمعنى أعطى الأرض شكل الدحية يعني البيضة اعتراضا صحيحا، لأن تفسير الدحية بالبيضة غير وارد في أمهات كتب اللغة « كجمهرة اللغة » لابن دريد، و«لسان العرب» لابن منظور ، و «تاج العروس » للمرتضى الزبيدي ، فإن هذا غير كاف لصرف النظر عن تحليل هذا الفعل بالاستناد الى معانيه المختلفة الواردة في الأمهات المذكورة ومقارنتها بما جاء في تفسير الآية الكريمة . كما لا نعتبر الآيات التي تضمنت الأفعال الدالة على بسط الأرض منافية

---

(42) والنازعات ، 30 .

(43) **نقد الفهم العصري للقرآن**،73 ؛ انظر كذلك **الله العلم**،134 ؛ **القرآن محاولة لفهم عصري** ، 52 ؛ **الكون والإعجاز العلمي للقرآن** ، 160 .

(44) **ن . م** ، 74 .

بالضرورة للقول بكرويتها اعتمادا على أدلة نفصلها في أمكنتها .
ذكر ابن دريد لفعل **دحا** معنى واحدا فقال : « دحا يدحو دحوا إذا دحا به على وجه الأرض »[45] يعني : رمى به[46] .

وذكر ابن منظور لهذا الفعل معنيين آخرين فقال :

1 ـــ دحا الأرض يدحوها دحوا بسطها ،
2 ـــ دحا المطر الحصى عن وجه الأرض دحوا نزعه .

وأضاف المرتضى الزبيدي الى هذه المعاني الثلاثة معنى رابعا فقال : « دحا البطن عظم واسترسل الى أسفل » .

واشتق من هذا الفعل عدد من الأسماء نخص بالذكر منها :

ـــ **الأُدْحِيُّ** : الموضع الذي يبيض فيه النعام[47] .
ـــ **الأُدْحِية** : الحفرة[48] .
ـــ **المداحي** : وهي أحجار أمثال القِرَصَة[49] . كانوا يحفرون حفرة ويدحون فيها بتلك الأحجار،واشتق لهذه اللعبة اسم فسميت المدحاة[50] .

---

(45) **جمهرة اللغة** ط. أولى ، حيدر آباد الدكن 1344هـ .
(46) **لسان العرب** ، مادة دحا .
(47) **الجمهرة**،126/2 ؛ **لسان العرب** ، **تاج العروس** في مادة دحا .
(48) **لسان العرب** ، مادة دحا .
(49) جمع قرصة وسمي عين الشمس قرصة .
(50) **تاج العروس** ، مادة دحا .

رفع المسبهمل

كما اشتق من فعل دحا فعل مزيد وهو : **تدحّى** . ذكر ابن منظور في معناه قوله : « تدحت الإبل إذا تفحصت في مباركها السهلة حتى تدع فيها قراميص[51] أمثال الجفار[52] ، وانما تفعل ذلك إذا سمنت .

تبين من استعراض هذه الاستعمالات المختلفة لمادة الدحو أنها تتضمن معنيين :

1) ـــ الحركة في قولهم : دحا به يعني رمى به .

2) ـــ الشكل الذي فيه استدارة وهو ما يدرك من دحو المطر للحجارة ، وفي الحجارة استدارة وكذلك من تدحي الإبل ، ويلتحق به أُدْحِيّ النعامة والحفرة ، ويتأكد بالمداحي وهي كما رأينا حجارة فيها استدارة ، وأخيرا بدحو البطن .

ويمكن اعتبار صورة المطر وهي تدحو الحجارة وصورة المدحاة ، يعني لعبة المداحي ، جامعتين للمعنيين ، إذ نلاحظ فيهما الحركة الى جانب الشكل .

أما معنى البسط في فعل **دحا** فنرجىء الحديث عنه عند ذكر

---

(51) **لسان العرب** ،مادة : قرمص . والقراميص جمع قرموص حفرة يستدفىء فيها الإنسان الصرد من البرد أو وكر الطائر .

(52) **ن . م** . مادة جفر . والجفار جمع جفر من أولاد الشاء إذا عظم واستكرش .

(53) لعل من فسر دحو الأرض بجعلها على شكل البيضة قد التبس عليه لفظ مبيض الدال على الموضع يبيض فيه النعام فأعطاه معنى البيضة .

الأفعال المتعددة الدالة على هذا المعنى فالذي يفهم حينئذ من التعبير اللغوي في قوله تعالى ﴿ والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَيٰـهَا ﴾[54] شيئان :

1) تكوير الأرض .

2) دفعها في حركة تشبه حركة الحجر الذي يرمي به السيل ويقلبه على نفسه كلما دفع به الى الأمام ، و كذلك حركة المداحي المتقلبة في طريقها الى الحفرة .

وهذه كما نرى صورة تشخيصية دقيقة لما عليه الأرض في الواقع منذ انطلاقتها الأولى الى ما هي عليه اليوم في دورانها الدائب على نفسها ودورانها حول الشمس وفي مسيرتها الجماعية داخل المجموعة الشمسية التي تنتمي اليها،وذلك ما أكده علماء الفلك وبينته الصور التي بثتها الآلات الدقيقة عن الفضاء حيثتتحرك المجموعة الشمسية .

هـ ـ تحليل الآية السادسة من سورة الشمس :

ويلتحق بهذا تحليل قوله تعالى : ﴿ والأَرْضِ وَمَا طَحَيٰـهَا ﴾[55] فقد استشهد بها الدكتور عاطف أحمد على بسط الأرض وتسطحها مستندا في ذلك الى كتب اللغة التي اعتبرت هذا الفعل مرادفا لفعل **دحا** الذي يعني بسط[56] غير أن الواقف على

---

(54) والنازعات ، 30 .

(55) الشمس ، 6 .

(56) **لسان العرب** ، مادة : طحا .

هذا الفعل في كتب اللغة يلاحظ أن معانيه تلتحق بالمعاني التي فصلناها لفعل **دحا** . وهو ما نبه إليه أحمد محمد سليمان حيث إنه ذكر أن من معاني **طحا** : ألقى على الوجه ، وأن الطحية القطعة من السحاب[57] .

ونضيف الى هذين المعنيين ما جاء في شرح القاموس : « طحا بالكرة رمى بها » [58] ، وكذلك وصف النسور بالمدوّمة الطواحي « يعني أنها تستدير حول القتلى »[59] .

وهكذا نلاحظ في هذا الفعل أيضا نفس الصورة التشخيصية التي انتهينا اليها من تحليل فعل **دحا** ، فالأرض طبقا لهذا الفعل تشبه كرة رمي بها في الفضاء فهي بذلك في حركة دائبة.[60] وليس في معنى البسط الذي أعطى لهذا الفعل ما يضر بمفهوم الكروية كما سنتبين ذلك .

و ـــ معنى تسطح الأرض في القرآن :

لقد تحدث القرآن عن الأرض بما يفيد كرويتها كما ظهر من التحليل السابق ، كما تحدث عنها بما يفيد بسطها. وقد استغل بعضهم المعنى الثاني ليؤكد على القول بالتعارض بين القرآن وحقائق

---

(57) **القرآن والعلم** ، 55 .

(58) **تاج العروس** ، مادة طحا .

(59) **نفس المصدر** .

(60) **القرآن والعلم** ، 55-56 .

العلم الحديث التي تنفي القول بانبساط الأرض وتجزم بكرويتها . ولا بد من رفع هذا الالتباس بما يزيل التعارض ويجعل أحد القولين يلتحق بالثاني .

ولما ظهر فيما سبق إقرار القرآن بكروية الأرض فلا بد أن تكون الآيات الكريمة التي رأى بعضهم فيها قولا صريحا بانبساطها ملتحقة في الواقع بالمقالة الأولى لانتفاء التعارض عن القرآن ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[61] . ولن يظهر ذلك إلا بعد النظر في اللغة التي أدت المعنى وفي كيفية تأويلها من طرف العلماء . استعمل القرآن أفعالا قد يفهم منها أن للأرض شكلا مسطحا وهي :

ـ **مد** : كما في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ ﴾[62] .

ـ **فرش** : كما في قوله تعالى ﴿ والأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾[63] .

ـ **سطح** : كما في قوله تعالى ﴿ وإلى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ... ﴾[64] .

---

(61) النساء ، 82 .

(62) الرعد ، 3 .

(63) الذاريات ، 48 .

(64) الغاشية ، 20 .

كما استعمل صيغا اسمية تفيد نفس المعنى وهي :

ــ **فراشا** : كما في قوله تعالى ﴿ الذي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشًا ﴾[65] .

ــ **مهادا** : كما في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴾[66] .

ــ **بساطا** : كما في قوله تعالى ﴿ والله جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا ﴾[67] .

وساق القرآن هذا المعنى للتذكير بأمرين :

1) التوحيد ونفي الشركاء ، وهذا يرتبط بالقدرة على الخلق ، وتسويته ، فلما سأل فرعونُ موسى ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴾[68] أجاب النبي المرسل ﴿رَبُّنَا الذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[69] فصفة الخلق صفة تميز الإلـٰه الحق وتجعل العبادة قصرا عليه ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لاَ يَخْلُقُ أَفَلاَ تَذَّكَّرُونَ ﴾[70] .

---

(65) البقرة ، 6 .

(66) النبأ ، 6 .

(67) نوح ، 19 .

(68) طه ، 48 .

(69) طه ، 49 .

(70) النحل ، 17 .

وفي خلق الأرض من الحِكَم ومظاهر القدرة ما يدعو إلى الإيمان بالله الواحد ونبذ الشركاء .

2) الامتنان على الإنسان بنعمة بسط الأرض وتمهيدها له ليستقر عليها وتتوفر له فيها مصالحه . يقول تعالى ﴿ والأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ المَـٰهِدُونَ ﴾[71]، ﴿ ٱللهُ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرارًا ﴾[72] ، ﴿ هُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً ﴾[73] .

والملاحظ أن القرآن عندما يذكر بسط الأرض ومدها وجعلها مهادا وفراشا يقرن ذلك عادة برفع السماء وبنائها يقول تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لها مِنْ فُرُوجٍ والأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا ﴾[74] . ﴿ الذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا والسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾[75] .

كما يقرنه بإلقاء الجبال على الأرض ونصبها يقول تعالى ﴿ والأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ ﴾[76] ﴿ أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضَ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[77] .

---

(71) الذاريات ، 48

(72) غافر ، 64.

(73) الملك ، 15 .

(74) ق ، 6-7 .

(75) البقرة ، 21 .

(76) الحجر ، 19 .

(77) الغاشية ، 17-20 .

وكذلك بشق الأنهار والسبل ليسلكها الإنسان ويحقق رغباته عن طريقها يقول تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ﴾[78] ، ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[79] ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[80] .

فبسط الأرض وفرشها في القرآن أتى مرة للمقابلة بينه وبين نوع ثان من الخلق فيه الرفع والبناء وأخرى للتأكيد على الملاءمة بين الإنسان والمحيط الذي يعيش فيه .

ويمكن التقريب بين هذا وبين الدليلين اللذين اعتبرهما الفلاسفة شاهدين على التوحيد : دليل الاختراع ودليل العناية[81] .

والتحليل اللغوي للكلمات القرآنية التي قد تفيد معنى تسطح الأرض يؤكد على غاية القرآن من استعمالها . ففي كل من البسط والتسوية والفرش والمهد معنى الاتساع[82]،والتسوية[83]،والوثارة[84]،

---

(78) الرعد ، 3 .

(79) الزخرف ، 10 .

(80) الملك ، 15 .

(81) انظر كتاب **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة** ، ابن رشد ، ط.2 ، بيروت 60,1979/1399 .

(82) البسط نقيض القبض وتسمى الأرض العريضة الواسعة البسيطة ، **لسان العرب** ، مادة بسط .

(83) التسوية : مد الأرض وبسطها . **لسان العرب** ، مادة : سوى .

(84) يقال للفراش مهاد لوثارته .

وهي صفات تساعد الإنسان على تسخير الأرض والإفادة منها .

وفي وصف الأرض بكونها قرارا ، ذلولا ، قد وضعت للأنام ما ينبىء بالمقابلة بينها وبين رفع السماء ونصب الجبال وشق الأنهار .

فبالرجوع الى الاستعمالين القرآني واللغوي للكلمات التي استشهد بها بعضهم على إقرار القرآن بتسطيح الأرض وقَصَر معناها على ذلك يتضح سوء فهم من اتجه الى هذا القول لأن كافة المعاني التي أمكن استخراجها من تلك الكلمات لا تتضارب مع القول بكروية الأرض كما سنبين ذلك .

ز ــ الأرض كروية الشكل عند الرازي وابن عرفة :

إن هذا المعنى أدركه المفسرون الذين كان لهم اهتمام بمثل هذه المسائل ونخص بالذكر منهم الإمامين فخر الدين الرازي ومحمد بن عرفة الورغمي . وقد عاش الرازي بين سنتي (543-606/1149-1210) ، وعاش ابن عرفة بين سنتي (716-803/1316-1401) وكلاهما ظهر قبل أول من صدع من العلماء بالقول بكروية الأرض ودورانها حول الشمس باعتبار أن ذلك حقيقة لا مجال للشك فيها وأعني بذلك كوبرنيك Copernic (1473-1543م) ومن بعده غاليلو Galilée (1564-1642 م) .

والذي قرره الرازي ومعه ابن عرفة أن الأرض كروية الشكل

وذلك في عدة مواطن من تفسيريهما[85] . فقد استعرض الرازي عند تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَـٰوَٰتِ والأَرْضِ ﴾[86] الآية ، عددا من الحجج للبرهنة على كروية الأرض بالاعتماد على أدلة هندسية وفلكية تدل على شدة اقتناعه بما يقول[87]: « فما دام أنه قد ثبت بالدلائل أن الأرض كرة فكيف يمكن المكابرة فيه ؟ »[88] .

ونقدم فيما يلي فقرة قصيرة من التفسير الكبير استعرض فيها الرازي دليلين على كروية الأرض وتظهر فيها منهجية المفسر في طرق هذه المسألة . يقول الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ ﴾[89]: « الحجة الثالثة عشرة العالم كرة وإذا كان الأمر كذلك امتنع أن يكون إلـٰه العالم حاصلا من جهة فوق .

أما المقال الأول فهو مستقصى في علم الهيئة إلاّ أنّا نقول: إنا إذا اعتبرنا كسوفا قمريا حصل في أول الليل بالبلاد الغربية كان عين ذلك الكسوف حاصلا في البلاد الشرقية في أول النهار فعلمنا أن

---

(85) انظر مثلا **مفاتيح الغيب** 104/2 ، 194-192/4 ، 109/14 ، 2/19 ، 170 ، 9/20 ؛ **تفسير ابن عرفة** برواية الأبي ، مخطوط ، 174 ظ .

(86) البقرة ، 163 .

(87) **مفاتيح الغيب** ، 193-192/4 .

(88) **ن . م** ، 3,2/19 . انظر كذلك **تفسير ابن عرفة** ، 9 ظ ، 174 ظ .

(89) الأعراف ، 53 .

أول الليل بالبلاد الغربية هو بعينه أول النهار بالبلاد الشرقية ، وذلك لا يمكن إلا إذا كانت الأرض مستديرة من المشرق الى المغرب ، وأيضا إذا توجهنا الى الجانب الشمالي فكلما كان توغلنا أكثر كان ارتفاع القطب الشمالي أكثر وبمقدار ما يرتفع القطب الشمالي ينخفض القطب الجنوبي ، وذلك يدل على أن الأرض مستديرة من الشمال الى الجنوب . ومجموع هـٰذين الاعتبارين يدل على أن الأرض كروية »[90]،ثم عمد الرازي الى الرد على من اعتمد قوله تعالى ﴿ والأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا ﴾[91] يستدل به على كون الأرض بسيطة يعني منبسطة فذكر أنها فعلا كذلك لكن:« بتقدير كونها كرة »[92] . فبسط الأرض ومدّها في القرآن لا يتنافى مطلقا مع كرويتها . فنظرا الى حجم الأرض الهائل بالنسبة الى الإنسان فإنه يراها بالعين المجرّدة منبسطة وهو أمر واقع ، ونظرا الى علاقة الأرض بغيرها من الكواكب الأخرى وما ينتج عن تلك العلاقة فإنه لا بد من مراعاة ذلك بعين العقل وتصديق ما يمليه علينا من حقائق .

فخلاصة القول إن التعبير عن الأرض في القرآن بالمد والبسط وما الى ذلك« يشعر بأنه تعالى جعل حجم الأرض عظيما لا يقع البصر على منتهاه لأن الأرض لو كانت أصغر حجما مما هي الآن عليه لما كمل الانتفاع به ».[93] .

---

(90) **مفاتيح الغيب** ، 109/14 .

(91) الحجر ، 19 .

(92) **مفاتيح الغيب** ، 170/19 .

(93) **مفاتيح الغيب** نقلا عن أبي بكر الأصم ، 2/19 .

ويستوقفنا في تحليل الرازي الدقة الفائقة في البحث من جهة وحرية الاستنتاج من جهة أخرى لم يقف دونهما أمامه لا اللغة التي تكلم بها القرآن ولا العقائد الواردة فيه .

ح ـ بسط الأرض دليل على كرويتها :

ولئن اكتفى الرازي برفع ما يمكن أن يخيّل لبعضهم أنه تعارض بين القول بكروية الأرض ووصفها بالانبساط فإن من الباحثين مَن رأى في استعمال القرآن لفعلي : البسط والمد ، تعبيرا واضحا عن الكروية .

وذلك ما اتجه اليه مثلا الدكتور منصور حسب النبي في كتابه «الكون والإعجاز العلمي للقرآن» وهو يرد على من فسر قوله تعالى ﴿ والأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا ﴾[94] بكونها منبسطة فأبطل هذا التفسير بقوله : «أي بسطناها لأن المدّ هو البسط ولكن الآية تدل على أنك أينما ذهبت فوق الأرض تجدها ممدودة أمامك . وهذا لا يمكن هندسيا إلا إذا كانت الأرض كروية إذ أنها لو كانت مسطحة لاختفى هذا المد عند الوصول لحدودها . وبهذا نلاحظ دقة التعبير القرآني الذي اختار اللفظ الوحيد المناسب للعصر ، فكلمة « ممدناها » تعطي المعنى للانبساط والتكور »[95] .

---

(94) قٓ ، 7 .

(95) د. منصور حسب النبي ، 159 .

وهكذا فإنه بالوقوف على المعاني اللغوية للألفاظ وبمقارنة الآيات القرآنية بعضها ببعض أثبتنا عدم وجود تعارض بين القرآن وبين مقررات العلم الحديث في شأن كروية الأرض وفي شأن حركتها .

دور الجبال في تثبيت الأرض

أ ـ الدور المحدد للجبال في القرآن كما فهمه الدكتور عاطف أحمد .

اعتبر الدكتور عاطف أحمد كيفية ذكر الجبال في القرآن متممة للمفهوم القرآني حول تسطح الأرض. فما دامت الأرض مسطحة فهي في « حاجة الى تثبيت حتى لا تهتز فتنكفىء بالناس »(96) . ويشير بهذا الى قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ﴾(97).وهو في استعراضه للآيات وذكر تفسير بعضها الوارد عند الطبري يؤكد على التصور الخاطىء في نظره للكون كما حَدَّثَنَا عنه القرآن . غير أنه لم يتعرض الى وجهة نظره في بيان ذلك الخطأ ، ولم يتحدث عما قرره العلماء المختصون عن الجبال وعن الدور الذي تلعبه على سطح الأرض وما الذي

---

(96) نقد الفهم العصري للقرآن، 75 .

(97) الأنبياء 31 ، استبدل د. عاطف أحمد «بهم» بـ «بكم» في الآية وكرر ذلك مرتين في نفس الصفحة 75 ويبدو أن عدم التحري في الآيات أمر مألوف عنده . انظر كذلك ص 63، الزمر 6 ، ص 68 ، فصلت 10 .

كان ينبغي أن يقال عن الجبال حتى لا يجانب الأمر الواقع المتعلق بها . فلم نر في بحثه منهجية علمية في هذه المسألة ولا في غيرها من المسائل المطروقة في كتابه[98] . لذلك رأينا أن نحدد مقالة القرآن عن الجبال في مسألة معينة هي بيان الدور الذي تلعبه الجبال في طبيعة الأرض ونقارن ذلك بما جاء في مقالة العلماء في هذا الموضوع .

ب ــ دور الجبال في طبيعة الأرض كما جاء في القرآن :

ذكر القرآن الجبال مرة بمادة **جبل ــ جبال**[99] وأخرى بمادة **رواسي**[100] . وتكرر هذان الاستعمالان فيه .

وشُبِّه بها مرة واحدة معبرا عنها بلفظ **الطود**[101] ومرتين اثنتين معبرا عنها بلفظ **الأعلام**[102] وسوف نتولى فيما يأتي تحليل هذه الكلمات .

والسياقات القرآنية التي ورد فيها ذكر الجبال متعددة متنوعة الأهداف . فقد ورد ذكرها في القصص القرآني[103] ، وللتذكير

---

(98) خلافا لما جاء في التعريف بالكتاب على الورقة الخلفية للغلاف «والدكتور عاطف أحمد يناقش هذا كله مناقشة علمية رزينة » .

(99) انظر مثلا : الحشر ، 21 ؛ النحل 81 الخ ...

(100) انظر مثلا : الرعد ، 3 ؛ الحجر ، 19 الخ ...

(101) الشعراء، 63 .

(102) الشورى ، 30 ؛ الرحمان ، 22 .

(103) البقرة 260 ؛ الأعراف 143 ، 171 ؛ هود ، 43 .

بالنعم[104] ، ولبيان عظمة الخلق[105] ، وفي وصف اليوم الآخر[106] وإشارة الى عظمة أمر معين[107] . غير أننا لن نهتم في هذا التحليل إلا بما جاء متعلقا بالدور الذي تلعبه الجبال في حفظ الأرض باعتبارها رواسي تمنع الأرض عن المَيَدان كما قرر القرآن ذلك[108] . والذي نأمل أن يسوقنا البحث إليه هو أن مؤدى اللفظ القرآني في هذا الموضوع يصور الواقع الطبيعي للدور الذي تلعبه الجبال على وجه الأرض تصويرا دقيقا . وهو ما اكتشفته حديثا علوم مختصة في هذه المسائل أذكر منها علم طبيعة الأرض او الجيوفيزيقا géophysique[109] في الأبواب المتعلقة بدراسة تشكل الصخور وتكوين الجبال على سطح الأرض Tectonique-Tectogénèse[110] .

ولن نلجأ في عملنا هذا الى مقالة المفسرين القدامى في الآيات المتعلقة بهذا الموضوع لأنها لا تعدو أن تكون اجتهادات بنيت على

---

(104) النحل ، 81 ؛ والنازعات ، 32 .

(105) الحجر ، 19 ؛ النحل ، 15 ؛ النبا ، 7 .

(106) الطور 9 ؛ الواقعة ، 5 ؛ المرسلات ، 10 .

(107) مريم ، 91 ؛ الحشر ، 21 .

(108) انظر تحليل جوانب أخرى لمفهوم الجبال في القرآن في كتاب **الكون والإعجاز العلمي للقرآن** ، 179 وما بعدها .

(109) اعتمدنا في ترجمة المصطلحات العلمية **معجم الجيولوجيا** فرنسي عربي ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط ، المملكة المغربية 1971م ، وأشير اليه في البحث بلفظة **معجم** . **معجم** 23 .

(110) **معجم** ، 47 .

ما كان سائدا في عصرهم من معلومات . وقد كان الرازي شاعرا بمحدوديّة نظرته فعلق على تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾[111] بقوله : « فهذا ما وصل اليه بحثي في هذا الباب والله أعلم بمراده »[112] . فمنطلقنا سيكون من الألفاظ القرآنية في دلالتها اللغوية الأصلية ، ومقارنة ذلك بما قرره المختصون في الموضوع وتقديم الإجابة عن المسألة التي انطلقنا منها على ضوء تلك المقارنة .

ذكرنا أن الألفاظ التي استعملها القرآن للتعبير عن الجبال هي : الجبل ـــ الجبال ـــ الرواسي ـــ الطود ـــ الأعلام . ونلاحظ كذلك وصفها بالشامخات وتشبيهها بالأوتاد .

وفي التعبير عن الجبال بالرواسي ، والأوتاد ، والطود، والأعلام،

---

(111) النحل ، 15 .

(112) **مفاتيح الغيب** 9/20 . يدل على محدودية المعرفة عند المفسرين القدامى أيضا سوق الاحتمالات دون ترجيح. مثال ذلك ما جاء عن الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ الحجر ، 20 ..«فإن قيل :تقولون إنه تعالى خلق الأرض بدون الجبال فمالت بأهلها فخلق فيها الجبال بعد ذلك ، أو تقولون : إن الله خلق الأرض والجبال معا . قلنا : كلا الوجهين محتمل»، **مفاتيح الغيب**، 171/19 .
كما يمكن أن نعتبر الالتجاء الى التأويل وحمل الألفاظ على المعنى المجازي صورة ثالثة على عدم وضوح المعنى الحقيقي في ذهن المفسر يظهر ذلك مثلا عند الرازي في تفسير الآية السابقة : الحجر ، 20 في قوله : « والوجه الثاني في تفسير قوله ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ يجوز أن يكون المراد أنه تعالى خلقها لتكون دلالة للناس على طرق الأرض ونواحيها لأنها كالأعلام فلا تميل الناس عن الجادة المستقيمة ولا يقعون في الضلال وهذا الوجه ظاهر الاحتمال». **مفاتيح الغيب**، 171/19 .

ووصفها بالشامخات معنى دقيق ينبغي الوقوف عليه . ذلك أن في مادة **رسا** معنى الثبوت والرسوخ في الأرض ولا يتم ذلك إلا إذا ذهب أصل الشيء بعيدا فيها . ويجسّم هذا المعنى عادة باستعمال مادة هذا الفعل للدلالة على رزّ الوتد في الأرض ، أي تثبيته فيها ، فيقال : أرسيت الوتد في الأرض ، إذا ضربته فيها . ولذلك أشار الأصبهاني الى العلاقة بين هذا وذاك فقال في مادة **رسا** ﴿والجبال أَرْسَـٰهَا﴾(113) وذلك إشارة الى قوله تعالى ﴿والجِبَالَ أَوْتَادًا﴾(114) .

فالمعنى المستفاد من تسمية الجبال **بالرواسي** كما في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الذِي مدَّ الأَرْضَ وجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ ﴾(115) ، ومن استعمال فعل **أرسى** للتعبير عن كيفية وضعها على سطح الأرض كما في الآية الكريمة ﴿ والجبال أَرْسَـٰهَا ﴾(113) يفضي الى القول بضرورة وجود جذور عميقة للجبال تكون نسبة عمقها في بطن الأرض بقدر نسبة ارتفاعها على سطح الأرض .

ثم إن القرآن وصف الجبال **بالشموخ** ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَـٰمِخَـٰتٍ ﴾(116) أي عاليات(117) . وعبر عن كيفية وضعها على

---

(113) والنازعات ، 32 .

(114) النبأ ، 7؛ **المفردات في غريب القرآن** ، الحسن بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني ، 1970 ، مصر .

(115) الرعد ، 3 .

(116) المرسلات ، 27 .

(117) الاصبهاني ، 391 .

سطح الأرض بفعل **نصب** : ﴿ أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾(118). والنصب كما هو في كتب اللغة : إقامة الشيء ورفعه(119) . وأكد الأصبهاني على المعنى المقصود من الرفع بإيراد تشبيهات متتالية تعطي صورة واضحة عن المعنى المقصود فقال : « نصب الشيء وضعه وضعا ناتئا كنصب الرمح والبناء والحجر »(120) .

ومن أساليب القرآن المعهودة في التذكير وتهذيب النفوس اعتماده الدلالات المعنوية التي ينبغي أن يفيدها المرء من كيفية الخلق ومن الأوضاع التي عليها المخلوقات بجميع أصنافها(121) . ومن بين المعاني التي دعانا القرآن الكريم الى الاعتبار بها في تهذيب النفوس وردعها عن التطاول والاختيال ، وحثها على التواضع ، طول الجبال فقال : ﴿ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً ﴾(122) .

فوصفُ الجبال بالشموخ ، والتعبير عن كيفية خلقها بالنصب ، ولفتُ النظر الى الاعتبار بطولها لإبراز ضعف الإنسان ، كل هذه

---

(118) الغاشية ، 17-19 .

(119) **لسان العرب**،مادة نصب.والملاحظ أن هذا الفعل من أفعال الاضداد فهو يدل على الوضع والرفع معا . انظر **تاج العروس**،مادة : نصب .

(120) الأصبهاني ، 725 .

(121) انظر في ذلك **الطبيعة في القرآن الكريم** ، 166 .

(122) **الإسراء** ، 37 .

أدلة تنبه الى كون الجبال المقصودة في القرآن هي الضخمة العظيمة لا الصغيرة المنفردة[123] .

ومن هنا وقع التشبيه بها باستعمال لفظ **الطود** وهو كما نعلم الجبل العظيم[124] . ولمزيد التأكيد على فخامة الطود وصفه القرآن بالعظم فقال تعالى ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العَظِيمِ ﴾[125] . كما استعمل لفظ **الأعلام** ، ويطلق العَلَم على الجبل الطويل[126] .

وقد وقع الجمع بين وصفي الثبوت والشموخ في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَٰمِخَٰتٍ ﴾[127] ، أي ثابتات[128] بجذورها العميقة الذاهبة في الأرض ، الخفية عن الأعين ، عاليات[129] بانتصابها البارز للعيان .

ولعلنا نلاحظ هذا الجمع أيضا في آية الإسراء ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ

---

(123) الجبل في **لسان العرب** ، مادة جبل : اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال من الأعلام والأطواد والشناخيب ، وأما ما صغر وانفرد فهو من القنان والقور والأكم . .

(124) الأصبهاني، 460 .

(125) الشعراء ، 63 .

(126) **لسان العرب** مادة علم؛**الكشاف** ، 355/4 .

(127) المرسلات ، 27 .

(128) الاصبهاني ،281 .

(129) الأصبهاني ،391 .

الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً ﴾[130] باعتبار الصورة الطبيعية للجبال التي تذهب بجذورها عميقا في بطن الأرض فكأنها تخرقها ليزيد استقرارها على ظهرها .

وحدد القرآن الوظيفة الطبيعية للجبال فذكر أنها تمنع الأرض عن المَيَدَان . وقد تكرر هذا المعنى في ثلاث آيات كريمة هي :

ـــ ﴿ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾[131] ،

ـــ ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيد بِهِمْ ﴾[132] ،

ـــ ﴿ وأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أن تميد بكم ﴾[133] .

والمعنى اللغوي لفعل ماد : التحرك والميلان . وهو المعنى الذي استقر عليه المفسرون . يقول الأصبهاني : « الميد اضطراب الشيء العظيم كاضطراب الأرض »[134].ويقول الزمخشري: ﴿ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ كراهة أن تميل بكم وتضطرب »[135] .

وقد أدرك الصحابة رضي الله عنهم العلاقة بين سكون الأرض

---

(130) الإسراء ، 37 .

(131) النحل ، 15 .

(132) الأنبياء ، 31 .

(133) لقمان ، 9 .

(134) الأصبهاني ، 725 .

(135) **الكشاف**،598/2 .

ونصب الجبال فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « لما خلق الله الأرض قمصت[136] ومالت وقالت : أي ربِّ أتجعل عليّ مع يعمل بالمعاصي والخطايا ويُلقي عليّ الجيف والنتن ، فأرسى الله تعالى فيها من الجبال ما **ترون** وما **لا ترون**»[137] .

فالخلاصة أن القرآن اعتبر أن للجبال دورا في حفظ التوازن على وجه الأرض فتسكن ويستقر عليها أهلها ولولا الجبال ما تم لها ذلك .

ومما تجب ملاحظته أن القرآن تجنب ذكر المعاني الخرافية التي كانت عن الجبال في أذهان الناس والتي استمرت الى زمن متأخر جدا . كما أننا لا نجد فيه النظريات الخاطئة المتعلقة بطبيعة الجبال[138] .

ولنعد الى الموضوع الأصلي لنذكر في إيجاز مقالة المختصّين

---

(136) قمص نفر وأعرض . **لسان العرب** ، مادة : قمص .

(137) **الجامع لأحكام القرآن** ، ابو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، 1967/1387 ، القاهرة ، 90/10 .

(138) كانت الجبال مصدر خوف يرى فيها الناس فوضى تخل بالنظام السائد في الكون . وكان بعض الجغرافيين يرون أنها تخل بكروية الأرض انظر : Les Montagnes vues par les géographes et les naturalistes de langue française au XVIIe siècle, Paris, 1969, P : 16. وفي **العهد القديم** : ان جبل صهيون مسكن للإله . انظر **الطبيعة في القران الكريم**، 118 وفي الأساطير العربية: أن جبل أبي قبيس يزيل وجع الرأس وان جبل خودُقور يعلم السحر. انظر كتاب **الأساطير العربية قبل الاسلام** د. محمد عبد المعيد خان ، 1937 ، القاهرة ، 51 .

حول الجبال في طبيعة الأرض،وكما سبق أن ذكرنا فإن العلم الذي يهتم بمثل هذا البحث هو الجيوفيزيقا .

ج ــ دور الجبال في طبيعة الأرض كما جاء في العلم الحديث :

تتكون قشرة الأرض écroce terrestre(139) من طبقتين :

1 ــ طبقة السيال sial(140) وهي كلمة مركبة من جزئين يرمز الجزء الأول منها : **سي** الى سيليس silice(141) والجزء الثاني **ال** إلى الومينيوم aluminium(142) . وأهم الحجارة التي تتكون منها هي الجرانيت granite(144)

2ــ طبقة السيما sima(144) وهي كذلك كلمة مركبة من جزئين، الجزء الأول منهما هو نفس الجزء الأول من كلمة السيال ، أما الجزء الثاني **ما** فهو رمز الى المانيزيوم magnésium(145) وأهم الحجارة التي تتكون منها هو البازلت basalt(146) .

---

(139) **معجم** ، 35 .

(140) **ن. م** ، 198 .

(141) **ن . م**،159 .

(142) **ن . م**،109 .

(143) **ن . م**،199 .

(144) **ن. م** ، 199 .

(145) **ن . م**،132 .

(146) **ن . م**،68 .

وبمقارنة الطبقتين سجل العلماء أن المواد التي تتكون منها الطبقة الأولى أخف من المواد التي تتكون منها الطبقة الثانية ، وأن الطبقة الأولى تتكون منها القارات وما عليها من مرتفعات يعني: اليابسة، بينما توجد الطبقة الثانية تحت المحيطات ، ولا يوجد من الطبقة الأولى تحتها إلا شيء يسير ينعدم وجوده في أغلب الأحيان[147] .

نتج عن هذا خلل في التوازن بين الجاذبية Pesanteur[148] الموجودة على القارات والجاذبية الموجودة تحت المحيطات ، حيث إن الجاذبية تحت المحيطات أقوى من الجاذبية الموجودة على القارات ، وهذا لا يكون إلا إذا كانت الكتل masses[149] تحت المحيطات أشد كثافة من الكتل فوق القارات . فالقارات أو الأرض اليابسة إنما هي كتل من السيال طافيَة على سطح السيما اللزج[150] .

وحتى يظهر شبه توازن في القشرة الأرضية سماه العلماء حالة التوازن Isostasie[151] ظهرت الجبال على سطح الأرض[152]. وقد

---

(147) Introduction à la géophysique, B.F., Howell, Masson, 1969, I, 225, 227

(148) **معجم** ، 24 .

(149) **ن** . م، 134 .

(150) Les montagnes, 16 .

(151) **معجم** 119 . انظر التعريف بقانون حالة التوازن في :

Introduction à la géophysique 235

(152) جاء في كتاب: Les montagnes, 16

«..Il existe un déficit de masse à l'aplomb des continents et un excès sous

لاحظ العلماء علاقة بين ظهور هذا التوازن وبين الجبال التي تظهر من أجله ، فبقدر ما يَكون النقص واضحا في الكتل بقدر ما تزداد أهمية حجم الجبل[153] ، وبقدر ما يرتفع الجبل على سطح الأرض بقدر ما تكون جذوره السيَاليَة sialiques ذاهبة عميقا في طبقة السيما .

وباعتبار الحاجة الى ظهور التوازن الذي أشرنا إليه من أجل الاختلاف بين الجاذبية الموجودة على القارات وتحت المحيطات ، وهو من العوامل الداخلية ، وكذلك من أجل عدة عوامل أخرى خارجية تحدث عدم توازن على القشرة الأرضية (كتعرية الجبال érosion[154] والترسب sédimentation[155] في الأحواض ، وكذلك تأثير التجلد glaciation[156] على قمم الجبال المرتفعة) من

= les océans . De l'interprétation de ces faits et née une doctrine, celle de l'ISOSTASJE, mot crée par Dutton pour caractériser l'état d'équilibre .imparfait des continents sur les substratum visqueux ».

(153) جاء في كتاب : Introduction à la géophysique, 233-234

«Les montagnes doivent s'élever a mesure que leurs sommets sont érodés... L'ajustement isostasique peut même avoir tendance a augmenter l'altitude des massifs montagneux... Ainsi jusqu'à ce que le relief ait atteint un équilibre les plus hautes montagnes peuvent s'élever à cause seulement de l'érosion et du réajustement isostastique.»

(154) **معجم**، 43 .

(155) **ن . م**، 43 .

(156) **ن . م**، 23 .

أجل ذلك كله ظهرت الجبال لتثبت القشرة الأرضية تثبيتا نسبيا وتمنعها عن المَيَدان .

فالدور الذي اكتشفه العلم الحديث للجبال لا غنى للأرض عنه . فهي لا تستقر ولا تطمئن إلا بارتفاع الجبال وظهورها على سطحها . كما اكتشف العلم الحديث للجبال جذورا عميقة كلما ازداد ارتفاع الجبل إلا وازداد غوص جذوره عمقا في باطن الأرض[157] .

وهكذا تبينا في هذه المسألة أيضا مدى دقة عبارة القرآن حول دور الجبال في تثبيت الأرض انطلاقا من تخير اللفظ المؤدي للمعنى ، ذلك المعنى الذي لم يتم إدراكه على حقيقته إلا بعد أن قطع الفكر البشري المراحل الضرورية التي جعلته قادرا على الوقوف بنفسه على مراده .

البنان والبصمات

أ ـ الإعجاز العلمي في الآية الرابعة من سورة القيامة عند الدكتور مصطفى محمود :

تعرض الدكتور مصطفى محمود في كتابه «**القرآن محاولة لفهم**

---

(157) تشبه الجبال بجبال الجليد الطافية iceberg كلما طالت إلا وازدادت الكمية الذاهبة تحت الماء منها غوصا . Les montagnes, 17 .

عصري » الى قوله تعالى ﴿ أَيَحْسِبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أن نُسَوِّي بَنَانَهُ ﴾[158] . فرأى في الآية معجزة علمية للقرآن الذي نبه الناس قبل أكثر من ألف سنة الى خاصية توجد في بنان الإنسان لا يتفق فيها اثنان وهي البصمة التي رسمت عليها .

يقول مصطفى محمود : لكل إنسان بصمة خاصة به رسمت على بنانه لا يتفق اثنان في بصمة واحدة منذ أيام آدم حتى التوائم »[159] .

ويقصد الدكتور مصطفى محمود أن في إشارة الآية إلى قدرة الله على إعادة خلق البنان وفي اختصاص البنان بالذكر للدلالة على صدق البعث حكمة خفية تم الوقوف عليها أخيرا ولم تكن معلومة لدى من نزل بينهم القرآن .

ب ـ انكار الدكتور عاطف أحمد الاعجاز العلمي في الآية الرابعة من سورة القيامة :

ورفض الدكتور عاطف أحمد هذا الذي ذهب اليه الدكتور مصطفى محمود معتقدا أن البنان لغويا يعني أطراف الأصابع لا بصماتها »[160] . وارتضى في تفسير هذه الآية ما أدركه من فهم

---

(158) القيامة، 3-4 .

(159) القرآن محاولة لفهم عصري ، 233 .

(160) نقد الفهم العصري للقرآن، 68 .

الطبري لها وهو « تسوية أطراف الأصابع فيصبح طول الأصابع متساويا »[161].

وقد بدا لنا أن ما ذهب إليه الدكتور عاطف أحمد من قصْر البنان على أطراف الأصابع ــ ويفهم من عبارته أنه يقصد بها حدودها العليا حيث نهاية الأظفار ــ لا يتماشى مع ما جاء في كتب اللغة عن البنان كما أن ما أدركه من كلام الطبري لا يتناسب مع مؤداه .

ولا يخفى أن اعتراض الدكتور عاطف أحمد على ما ذهب إليه الدكتور مصطفى محمود يتوجه الى نفي جانب الإعجاز العلمي الذي استنتجه هذا الأخير من الآية . فالدكتور عاطف أحمد يستبعد كل تفسير يقرب بين شقة الدين وشقة العلم استنادا الى مسلمتين جزم بهما،وهما :

1) أن مضمونِ المفاهيم القرآنية وعظي وليس تعليميا[162] .

2) أن مضمون المفاهيم القرآنية متناقض مع الحقائق العلمية[163] .

ج ــ تحليل الآية الرابعة من سورة القيامة :

وقد رأينا أن نهتم بهذه المسألة بالاعتماد على كتب اللغة وعلى

(161) **نقد الفهم العصري للقرآن** ، 68 .

(162) **ن . م** ، 81 .

(163) **ن . م** ، 83 .

ما جاء من أقوال المفسرين فيها حتى نرفع الالتباس الذي وقع فيه الدكتور عاطف أحمد وحتى ننصف بين الباحثَيْن أعني الدكتور مصطفى محمود والدكتور عاطف أحمد ، فنرى أيهما أصاب الحق في تفسير آية سورة القيامة . لذلك سيشتمل تحليلنا على النقاط التالية :

ـــ التسوية والبنان في اللغة وعند المفسرين .
ـــ البصمات بين الاشتقاق والاصطلاح .
ـــ جانب الإعجاز في اختصاص البنان بالذكر في الآية الرابعة من سورة القيامة .

1 ـــ التسوية والبنان في اللغة وعند المفسرين :

تشتمل الآية الرابعة من سورة القيامة على لفظتين تحتاجان إلى الشرح هما فعل « **نسَوِي** » وكلمة « **بنانه** » .

أ ـــ سبب نزول الآية :

ولا ينبغي أن يفوتنا أن في الآية دعوة الى ملاحظة القدرة الإلـٰهية على إعادة خلق الإنسان وبعثه للحساب . فقد جاء في سبب نزولها : « نزلت في أبي جهل . كان يقول : أيزعم محمد أن يجمع الله هذه العظام بعد بِلاها وتفرّقها ويعيدها خلقا جديدا »[164].وقيل

(164) **البحر المحيط**،385/8 .

نزلت في عدِي ابن أبي ربيعة لتكذيبه بالبعث أيضا[165] . ومعرفة سبب نزول هذه الآية هامة لأنها تعين على ترجيح المعنى المناسب للمقام .

ب ـــ تحليل فعل « نسوِّي » :

يلاحظ المتأمل فيما جاء عند المفسرين القدامى في شرح الآية الرابعة من سورة القيامة اتجاهين في فهمها تبعا للمعنى الذي فسروا به فعل « نسوي ».ويطلق هذا الفعل في اللغة على معنيين :

1) سوّى يعني ساوى وتساوى واستوى ويـدل علــى التماثــل بين الشيئين[166] . وبهذا المعنى فسّر الطبري خاصة هذا الفعل في الآية راويا ما قاله ابن عباس وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك فيها.

يقول ابن عباس : « لو شاء لجعله[167] خفا أو حافرا »[168] ، والمقصود لو شاء لجمعهن (يعنى الأصابع) فتصبح شيئا واحدا . ويتأكد هذا المعنى برواية ثانية لابن عباس وهي : « أنا قادر على أن أجعل كفّه مجمرة (أي مجتمعة) مثل خف البعير »[169] .

---

(165) **الكشاف**،527/4 . وانظر **اسباب النزول للواحدي** ، ط. أولى ، 1959/1379 ، مصر ، 251،حيث جاء أنها نزلت في عمر بن أبي ربيعة . وفيه:«فأنزل الله تعالى هذه الآية» .

(166) **لسان العرب** ، مادة سوا .

(167) المقصود بالضمير في «لَجَعَلَهُ» البنان وهي جمع لا مفرد .

(168) **جامع البيان**،175/29 .

(169) **ن . م** ، 175/29 .

فالمقصود كما قال الحسن : إن الله تعالى: «جعلها يدا وجعلها أصابع يقبضهن ويبسطهن ولو شاء لجمعهن فاتّقيت الأرض بفيك ولكن سواك خلقا حسنا »[170] .

فالتسوية في الآية تعني الجمع بين الأصابع يعني إلصاق بعضها ببعض وجعلها كحافر الدابة ولا يمكن ذلك إلا إذا تم التماثل الكلي بينها فيُضم بعضها الى بعض . لذلك عبر الرازي عن هذا المعنى بلفظ صفيحة فقال : « أي نجعلها مع كفه صفيحَة مستوية لا شقوق فيها كخف البعير »[171] . والصفيحة هي الشيء العريض المنبسط كالسيف أو الحجارة أو اللوح[172] .

وهذا الذي ذهب اليه الطبري هو ما أخطأ الدكتور عاطف أحمد فهمه فظن انه يقصد بكلامه التوحيد بين الأصابع في الطول وهو ما لا يتماشى مع العبارة ولا مع الصورة الواردة في كلام الطبري .

هذا المعنى الذي اقتصر عليه الطبري وجاء عند جمهور المفسرين كما ذكر الشوكاني[173] ضعّفه بعض المفسرين مثل الزمخشري الذي صدره بعبارة: « قيل » وهي للتضعيف عنده ،

---

(170) **جامع البيان**، 175/29 .

(171) **مفاتيح الغيب**،218/30 .

(172) **لسان العرب**،مادة صفح .

(173) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، 1351 هـ مصر، 326/5 .

رفع عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وذكره بعد المعنى الذي ارتآه في تفسير الآية . كما ضعفه الرازي وعلق عليه بقوله : « والقول الأول (سيأتي ذكره) أقرب الى الصواب» [174]. وكذلك فعل الشوكاني فيه [175] .

ومنهم من أضرب عن ذكره مثل الشيخ ابن عاشور في التحرير والتنوير[176] .

والذين انتقدوا هذا المعنى لفعل « نُسوّي » أعطوه في آية القيامة معنى ثانيا مستمدا من المعنى اللغوي الثاني وهو :

2 ــ سوى يعني حَسُن وبلغ الغاية في تمام الخلق[177]. وأورد هذا المعنى الزمخشري والرازي والشوكاني والشيخ ابن عاشور . وذكر الشوكاني أنه القول الذي ذكره الزجاج وابن قتيبة[178] . ونستعرض تفسير بعض هؤلاء للآية حتى يتضح المعنى الذي ارتأوه فيها . يقول الزمخشري : « نجمع العظام قادرين على تأليف جميعها وإعادتها إلى التركيب الأول ، إلى أن نسوّي بنائه أي أصابعه التي هي أطرافه وآخر ما يتم به خلقه أو على أن

---

(174) **مفاتيح الغيب**، 218/30 .

(175) **فتح القدير**، 326/5 .

(176) 341/29 .

(177) **لسان العرب** ، مادة : سوا .

(178) **فتح القدير** ، 326/5 ؛ انظر **تأويل مشكل القرآن**، ابن قتيبة ، ط. 2 ، القاهرة ، 1973/1393 ، 346 .

نسوي بنانه ونضم سُلامياته [179] على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت أولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام »[180] .

وجاء في تفسير الرازي : « نبه بالبنان على بقية الأعضاء ، أي نَقدر على أن نسوي بنانه بعد صيرورته ترابا كما كان . وتحقيقه : أن من قدر على الشيء في الابتداء قدر أيضا عليه في الإعادة »[181] .

ولعل عبارة الشيخ ابن عاشور في شرح هذا الفعل كانت أوضح، فقد قال في ذلك : « وأريد بالتسوية إعادة خلق البنان مقومة متقنة فالتسوية كناية عن الخلق لأنها تستلزمه »[182] .

ولا يخفى أن السياق الذي وردت فيه الآية يترجح معه المعنى الثاني بينما لا توجد مناسبة واضحة بينه وبين المعنى الأول ، فالمقام كما رأينا مقام إثبات البعث والذي يناسبه بيان القدرة الإلٰهية على إعادة الخلق على صورته الأولى لا فرق في ذلك بين ما دق منه وما عظم ، أما جعل اليد مجمرة كخف البعير فلعل المقام الذي

---

(179) السلامى : عظام الأصابع وتسمى القصب.
السلاميات عند قطرب عروق ظاهرة الكف والقدم . **لسان العرب** مادة ، سلم .

(180) **الشكاف** ، 527/4 .

(181) **مفاتيح الغيب** ، 217/30-218 .

(182) **التحرير والتنوير**، 341/29 .

يناسبه يكون مقام الامتنان على الإنسان بأن خلقه في أحسن تقويم ، من ذلك أنه فرق بين أصابعه ولم يخلقها مجتمعة لأن ذلك يحول دونه ودون تحصيل مصالحه .

ومما نلاحظه أن عدم ورود المعنى الثاني عند الطبري لم يمنع غيره من المفسرين من إيراده بل ومن نقد المعنى الأول كما رأينا ذلك ، وكما جاء عند أبي حيان : « والمعنى الأول (يعني المعنى الوارد عند الزمخشري وغيره) هو الظاهر والمقصود من رصف الكلام »[183] .

فبالتزام المعنى الحرفي لفعل « نسوّي » أمكن فهم معناه على غير ما جاء عند الطبري (أي الجمع بين الأصابع) ، وعلى غير ما فهمه الدكتور عاطف أحمد خطأ من كلام الطبري (أي جعل طول الأصابع متساويا) ؛ وتبين أن المعنى الذي ذكره الدكتور مصطفى محمود : وهي بعث البنان على صورتها الأولى ، هو المعنى الذي رجحه المفسرون في القديم وفي الحديث .

ج ـ تحليل كلمة بنان :

البنان في اللغة جمع مفرده بنانة[184] . ولهذه اللفظة مدلول قد يضيق وقد يتسع ، فهي تعني الأصابع ، وأطراف الأصابع، كما يراد

---

(183) **البحر المحيط** 385/8

(184) **لسان العرب** ، مادة : بنن .

بها الأيدي والأرجل ، أي جميع أعضاء البدن[185] . واستقرت آراء أغلب المفسرين على جعل المقصود من البنان في الآية الأصابع[186]

ومنهم من دقق أكثر فذكر أنها أصابع اليدين والرجلين[187] . كما جعل بعضهم المقصود بذلك أطراف الأصابع ، يعني رؤوسها المشتملة على الخطوط والتجاويف التي تختلف مطلقا باختلاف الأشخاص[188].ولذلك وصفها الشيخ ابن عاشور بكونها : « أصغر الأعضاء الواقعة في نهاية الجسد »[189].وقد تبنى هذا المعنى المتأخرون من المفسرين مثل الشيخ ابن عاشور[190] والصابوني[191] .

يقول الشيخ ابن عاشور : «والبنان:أصابع اليدين والرجلين أو أطراف تلك الأصابع »[192] .

أما عبارة الصابوني فهي:« ونحن قادرون على أن نعيد أطراف

---

(185) **لسان العرب**، مادة : بنن.

(186) **الكشاف**،527/4 ؛ **البحر المحيط**،385/8 ؛ **فتح القدير**،326/5 .

(187) **الشكاف**،527/4 ؛ **فتح القدير**،326/5 ؛ **التحرير والتنوير**،341/29 .

(188) **صفوة التفاسير** ، محمد الصابوني ط 5،1982/1402،شتوتغارت،484/3 .

(189) **التحرير والتنوير**،341/29 .

(190) **التحرير والتنوير**،341/29 . والملاحظ أنه فسرها بالأصابع وبأطرافها واللغة تسمح بذلك .

(191) **صفوة التفاسير**،484/3 .

(192) **التحرير والتنوير**، 341/29 .

أصابعه التي هي أصغر أعضائه وأدقها أجزاء وألطفها التآما فكيف بكبار العظام وإنما ذكر الله تعالى البنان وهي رؤس الأصابع لما فيها من غرابة الوضع ودقة الصنع »[193] .

وسواء فسّر لفظ البنان بالأصابع بما تشتمل عليه من مفاصل وأظفار وعروق لطاف وعظام دقاق[194] ، أو بأطراف الأصابع وما فيها من غرابة الوضع ودقة الصنع[195] فإن المعنى اللغوي للفظة يؤدي هذه المعاني كلها على وجه الحقيقة لا المجاز .

وبهذا يبطل ادعاء الدكتور عاطف أحمد الذي قصر البنان في اللغة على أطراف الأصابع يعني بذلك كما رأينا قبل هذا الموضع حدودها العليا حيث نهاية الأظفار ، ويتضح صواب ما اتجه اليه الدكتور مصطفى محمود الذي جعل البصمة من مشمولات البنان .

2 ــ البصمة بين الاشتقاق والاصطلاح :

كان اختلاف المفسرين في القديم حول آية سورة القيامة متوجها الى المقصود من فعل « نسوّي » ، فمنهم من اعتبره يدل على الجمع بين الأصابع وجعلها صفيحة واحدة ، ومنهم من جعله يشير الى حسن الخَلْق وتسويته فتعاد بنان الإنسان في البعث على حالتها التي كانت عليها قبل الموت .

---

(193) **صفوة التفاسير**، 484/3 .

(194) **فتح القدير**، 326/5 .

(195) **صفوة التفاسير**، 484/3 .

أما المفسرون والباحثون المعاصرون فإنهم ركزوا في فهم الآية على لفظة البنان لا من حيث دلالتها اللغوية فإنهم متقاربون فيها كما رأينا بل متفقون (باستثناء الدكتور عاطف أحمد) إنما اتجهوا الى بيان الحكمة من ذكر إعادة خلق البنان في الآية دون غيرها من أجزاء جسم الإنسان كناية على صدق البعث .

وقبل الحديث عن هذه الحكمة التي ذكروها والتي سنتعرّض اليها في النقطة الموالية ، نشير الى أن من اهتموا بهذا الموضوع أتوا بلفظة لا نجدها عند القدامى من المفسرين وهي البصمة[196] أو البصمات[197] .

وقد لاحظنا أن منهم من اقتصر في الإشارة اليها على هذا النحو من التعبير : بصمة ، بصمات . ومنهم من ذكر عبارة : بصمات الأصابع[198] أو بصمة البنان[199]. وهي ترجمة حرفية للفرنسية empreinte (s) في الصورة التعبيرية الأولى و empreintes digitales في الفرنسية أو finger print في الأنجليزية في الصورة التعبيرية الثانية .

---

(196) **القرآن محاولة لفهم عصري**،233 .

(197) **صفوة التفاسير**،484/3 ؛ **القرآن والعلم** د. جمال الدين الفندي ط 1، 1968، القاهرة،301 .

(198) **صفوة التفاسير**،484/3 .

(199) الفندي،302 .

والعائد بلفظة بصمة الى المصادر اللغوية يلاحظ عدم ورودها فيها لفظا ومعنى . ففي مادة **بصم** ذكر اللغويون لفظة البصم ، وهي فَوْتُ ما بين طرف الخنصر الى طرف البنصر[200] (ما بين الخنصر والبنصر) يعني المقدار الذي يفوت به أحدهما الآخر في الطول ، مع ملاحظة اختلاف تسمية هذا المقدار باختلاف الأصابع فهو العَتَبُ أو الرَّتَبُ إذا كان بين الوسطى والسبابة[201]،وهو الفِتْر إذا كان بين السبابة والإبهام[202]،وهو الشِّبْر إذا كان ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر[203]،كما ذكروا قولهم : ثوب له بصم إذا كان كثيفا كثير الغزل[204] .

وفي هذين المعنيين لا نجد مناسبة واضحة بينهما وبين المراد من البصمات كمصطلح خاص . غير أن المعنى الثاني الذي فيه إشارة الى الكثافة في الثوب ربما أمكن الاعتماد عليه بعد التأويل لبيان العلاقة بين مصطلح البصمات والمفهوم الذي وُضع له .

ذلك أن لفظة البصمات وضعت كما قلنا لترجمة لفظة empreintes وهي تعني الأثر أو العلامة التي يتركها جسم ناتىء أو

---

(200) **لسان العرب** ، مادة : بصم .

(201) وقيل العتب بين الوسطى والبنصر ، **لسان العرب**،مادة : عتب . وقيل الرتب هو ما بين الخنصر والبنصر أو بين البنصر والوسطى .**لسان العرب** ، **مادة:رتب** .

(202) الفتر : ما بين طرف السبابة والابهام اذا فتحتهما . **لسان العرب** ، مادة : فتر

(203) **لسان العرب**، مادة : شبر .

(204) **تاج العروس** ، مادة بصم .

منخفض . ومعلوم أن الجلد الذي يكسو الأصابع والكفين والقدمين يتكون من خطوط حُليمية بارزة ، وخطوط أخدودية منخفضة[205] . فإذا لوثت بالحبر تركت آثارا منطبعة فسميت تلك الآثار بصمات يعني آثارا وعلامات تشبيها لها بالثوب الغليظ الكثير الغزل ، الذي تتميز فيه خطوط النسيج فيكون فيها بروز وانخفاض . وهكذا فإنه قد ظهر في مادة **بصم** معنى جديد أورده لويس معلوف في المنجد[206] ملاحظا أنه من كلام العامَّة . غير أنه لم يذكر فيه البصمات بالمعنى الاصطلاحي الذي نحن بصدده . كما لم نجد هذا المصطلح في معاجم الترجمة القديمة مثل كتاب اللغتين العربية والفرنساوية Dictionnaire Arabe Français A. DE BIBERS TEIN

KAZIMIRSKI[207] و SUPPLEMENT aux dictionnaires arabes,

R.Dozy[208]

ثم إنه جاء ذكره في « المنهل » قاموس فرنسي عربي للدكتور سهيل إدريس والدكتور جبور عبد النور وهو متأخر في الظهور[209] .

---

(205) **الطب محراب الإيمان**، د. جالص جلبي، ط 2، 1402/1982، 264/2 .

(206) **المنجد**، 1952 ، بيروت ، مادة : بصم .

(207) Paris. 1860 .

(208) Leide, Paris, 2e édition . 1927 .

(209) ط. أولى ، 1970 بيروت .

وغريب أن يلجأ من وضع هذا المصطلح في العربية الى لفظة عامية يصوغ منها عبارته والحال أنه يوجد من المادة ما يكفي لتأدية المعنى المطلوب بدقة ووضوح .

ومنهم من تنبه الى ذلك فصاغ عبارته كالآتي : انطباع أصبعي[210] أو طابع الأصابع[211] .

وسواء وقع التعبير بالبصمة أو الانطباع أو الطابع فإن ذلك كله يشير الى أثر مرئي لشيء موجود لولاه ما ظهر ذلك الأثر ، وأعني بذلك الجلد الذي يكسو الأصابع ، والذي كنا أشرنا الى تركيبه. فالبصمة لا تفيد أي معنى إن لم تتعلق بشيء معين تكون له أثرا . لذلك لا يمكن أن نعبر عنها بما جاء عند الدكتور عاطف أحمد من كون البنان لا تعني بصمات الأصابع ، لأنه لا وجود للبصمات بدون البنان وقد سبق في التحليل أن لفظة البنان تشمل الأصابع وأطرافها بل والكف جميعها .

ولمزيد من الدقة نقول : إن الباحثين اصطلحوا على وضع عبارة : طابع الأصابع أو ما إليها « لطبع عقلة السلامية الطرفية لأصبع ملوث بالحبر لإظهار شكل حوافه »[212].والغرض من هذه العملية

---

(210) **معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات،** مرشد خاطر .

(211) **المنهل** ، في معجم كازيميرسكي المذكور تُرجمت كلمة طابع بـ : qui fait une empreinte لكنه لم يتعرض الى : Empreinte digitale .

(212) تعريب من كتاب : The new medical pharmaceutical dictionany, DR. Ali Mahamoud Oweida, 1970, Dar el Fikr - al - ARABI

هو التمييز بين الأشخاص . ويتم ذلك عن طريق ملاحظة الخطوط الحُليمية والخطوط الأخدودية المرتسمة على الجلد الذي يكسو الأصابع ولذلك يعبر عن هذه العملية بـ : Dactyloscopie ، وترجمتها صباعة[213] ، وهي : دراسة العلامة التي تتركها الأصابع . وهذا ولا شك معنى مناسب لكنه لا يطابق الواقع إلا جزئيا؛وذلك أن الخاصية الموجودة في انطباع الأصابع هي عينها الموجودة في راحتي اليدين وباطن الكعبين ويسمى النظر فيها لدراستها Dermatoglyphie .

لذلك يكون المعنى أتم وأدق لو أنه وقع التعبير عنه بانطباع البنان بالرجوع الى المعنى اللغوي للفظة بنان التي تعني الأصابع وأطرافها واليدين والرجلين معا .

وهكذا يتضح في هذه المسألة أيضا مدى دقة القرآن في تخيّر اللفظ المناسب للتعبير عن المعنى المقصود .

3 ــ جانب الإعجاز في اختصاص البنان بالذكر :

كانت معارضة الدكتور عاطف أحمد للدكتور مصطفى محمود في تفسير آية القيامة بسبب المفهوم اللغوي للفظة **البنان** . وبعد التحليل تبين أن ما ذهب اليه الدكتور مصطفى محمود هو الصواب الذي اتفق عليه أهل اللغة .

---

(213) المنهل.

وقد سبق أن ذكرنا السبب الذي دعا الدكتور مصطفى محمود الى التعرض الى هذه الآية ، وهو جانب الإعجاز الذي نبه الى قدرة الله تعالى على اعادة تسوية بنان الإنسان ، وإنما كان ذلك أمرا معجزا لما اكتشفه الباحثون والعلماء من خصائص فيزيولوجية تهم هذا الجزء من جسم الإنسان .

ولا يمكن أن يُدرِك معنى هذه الإشارة إلا من أَلِفَ الأسلوب العربي والأسلوب القرآني بصفة خاصة في تخير الألفاظ لتأدية المعاني ، وانتقاء الصور الكفيلة بإيصالها الى الأذهان ، بالطريق الأوضح والأسلوب الأبلغ . وهو ما تولت الكشف عنه كتب البلاغة فيما فصلت القول فيه من علوم المعاني والبيان والبديع ، ووضعت له القواعد التي يستند إليها كل مفسر للقرآن يريد أن يقف على حقائقه . والبلاغة كما حددتها التعريفات التي وضعت لها : مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته[214] . وذلك يقتضي أمورا كثيرة منها اختيار الكلام[215]،والإشارة إلى المعنى بِلَمْحَة تدل عليه[216] ، مع حسن العبارة ، وصحة الدلالة[217] . وقد نهج المفسرون هذه الطريق في تفسير آية القيامة بما عمدوا اليه من ذكر السبب الذي من أجله خص الله تعالى البنان بالذكر .

---

(214) **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح** ، بهاء الدين السبكي ، 1342 هـ ، مصر، 122/1 .

(215) **ن . م**،123/1 .

(216) **ن . م**،123/1-124 .

(217) **ن . م**،127/30 .

فالرازي أشار الى كون آلله « نبّه بالبنان على بقية الأعضاء»[218] وتبعه الشوكاني في ذلك مضيفا : « إن الاقتدار على بعثها (يعني الأعضاء) وإرجاعها كما كانت أولى في القدرة من إرجاع الأصابع الصغيرة اللطيفة المشتملة على المفاصل والأظافر والعروق اللطاف والعظام الرقاق »[219] .

ونجد هذا الكلام أيضا عند الصابوني مع إضافة قوله : « وإنما ذكر تعالى البنان وهي رؤوس الأصابع لما فيها من غرابة الوضع ودقة الصنع لأن الخطوط والتجاويف الدقيقة التي في أطراف أصابع إنسان لا تماثلها خطوط أخرى في أصابع شخص آخر على وجه الأرض، ولذلك يعتمدون على بصمات الأصابع في تحقيق شخصية الإنسان في هذا العصر »[220] وتعليل الصابوني هو عينه الذي أتى به الدكتور مصطفى محمود .

واذا قورن بين هذه التعليلات وجد التعليل الأول **منطقيا استنتاجيا؛** لذلك صاغه الشيخ ابن عاشور كالآتي:« وإذا كانت (يعني البنان) هي أصغر الأعضاء الواقعة في نهاية الجسد كانت تسوتها كناية عن تسوية جميع الجسد لظهور أن تسوية أطراف الجسد تقتضي تسوية ما قبلها» [221]

---

(218) **مفاتيح الغيب**،217/30 .

(219) **فتح القدير**، 326/5 .

(220) **صفوة التفاسير**،484/3 .

(221) **التحرير والتنوير**، 341/29 .

أما التعليل الثاني فهو **منطقي قياسي** فإن إعادة خلق البنان مع دقة الصنع الموجودة فيها يقتضي إعادة خلق العظام التي تقل تعقيدا عنها .

والتعليل الثالث **علمي تشريحي** يشير الى خصائص خِلْقية توجد في البنان ولا توجد في غيرها من أجزاءِ الجسم الإنساني .

ولإدراك مدى بلاغة القرآن وإعجازه في آية القيامة نشير الى بعض الخصائص الخِلْقية الموجودة في البنان .

4 ـــ بعض خصائص البنان التشريحية والطبية :

اتفق العلماء المختصون على أن ترتيب الخطوط البارزة في الكفين والقدمين لا يمكن أن تتطابق عند شخصين مختلفين إطلاقا[222] حتى التوائم[223]،كما أنها تبقى ثابتة منذ ولادة الشخص الى وفاته[224] ولا تتغير تحت أي تأثير ، وإن كان حروقا بالغة أو تطعيما جلديا greffe cutanée [225]. من أجل ذلك وقع استغلال هذه الخاصية للكشف عن هوية المجرمين باقتفاء بصمات الأصابع

---

(222) **الطب محراب الايمان**،263/2 .

(223) L. Watson, Albin Michel, 1974 , 175 .

(224) **الطب محراب الإيمان**،263/2 .

(225) رجعنا في تعريب المططلحات الطبية الى **معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات** د.ا.ل.كليرفيل نقله الى العربية : مرشد خاطر ومن معه ، دمشق،1956/1375

التي يتركونها على ما يلمسونه بأيديهم من أشياء ويخلفونها وراءهم في مكان الجريمة .

ولئن كان الاهتمام بالبصمات في حقل الكشف عن الجرائم لم يبرز إلا في القرن التاسع عشر[226] فإن الاهتمام بخصائص الكف كان معروفا لدى الصينيين منذ القرن السابع ميلادي[227] .

وفي السنوات الأخيرة تم الاهتداء الى خاصية جديدة توجد في كف الإنسان وهي علاقة الخطوط الموجودة بها بعدد من الحالات المَرَضية أوصلوها الى الثلاثين[228] ، تحمل الكف آثار بعضها قبل ظهور الإصابة .

من ذلك المغلية le mongolisme ، وهو مرض ناشيء عن خلل يحدث في الصبغيات chromosomes يظهر أثره بحدوث خط في الكف من نوع خاص يدل على وجود المرض في شخص معين[229]،وكذلك التعفن الفوعي l'infection virale ، والحميراء la rubéole[230] .

---

(226) **البوليس والكشف عن الجريمة** ، ريحنا لدموريش ، ترجمة اللواء عبد المنصف محمود مصر،1956 ، 89 ؛ **الطب محراب الإيمان** 263/2 .

(227) L. Watson, 175 .

(228) **ن** . م ، 176 .

(229) **ن** . م ، 176 .

(230) **ن** . م ، 176 .

كما أنه بالنظر في الكف أصبح من الممكن للطبيب أن يتنبأ باحتمال ظهور بعض الأمراض لدى الشخص المفحوص[231] .

إن النظر في كف الإنسان بجميع أجزائها أصبح وسيلة ناجعة لتحليل حالة الفرد الجسمية والنفسية[232]

ويرى الباحثون أن السبب في ذلك يعود الى العلاقة المتينة الموجودة بين المخ والجهاز العصبي والحواس من جهة ، وسطح الجلد من جهة أخرى . فجميع هذه الأجزاء صادرة عن طبقة المضغة الظاهرة l'ectoderme في مرحلة تكون الجنين[233] .

---

(231) L. Watson, 176

(232) ن . م،177

(233) ن . م،177.

الفصل الثالث

المنهج والمعنى في الآيات الكونية

بعد استعراض تفسير ثلاثة نماذج من الآيات الكونية اعتمدنا في تحليلها على ما التزمنا بمراعاته يعني الرجوع بالألفاظ الى المعاجم اللغوية والوقوف معها عند الاستعمالات القرآنية ، لم يبق إلا أن نجيب عن السؤال الذي طرحناه وهو : هل ينبغي الاشتغال بالتفسير العلمي للقرآن أم يجب الإمساك عن ذلك ؟

1 ـــ اتسام المعاني القرآنية بالصدق والبعد عن التخييل :

إن الذي تبين من تحليل المسائل الثلاثة وما اتضح من مقارنة ما جاء عنها في القرآن بما ذكرته العلوم الحديثة بشأنها أكد على كون المعاني القرآنية المتعلقة بها اتسمت بالصحة والدقة وخلت من الخطأ والتخييل . وإنما ذكرنا هذه الصفات بشأنها لأن كيفية تصور المسائل التي وقع الحديث عنها لم تكن في عصر نزول القرآن خاضعة الى المقاييس العلمية الحديثة التي كشفت عن حقيقة

هويتها بالأدلة المنطقية والبراهين الرياضية والقوانين الفيزيائية والكيمياوية والحقائق التشريحية .

فكيف نفسر حينئذ مخالفة القرآن فيها لما كان موجودا في عقول الناس زمن نزوله وكيف نعلل التحاق حقائقه بما لم يتوصل اليه الباحثون الا بعد أن خاضوا غمار العلوم الحديثة[234] .

إن مبلغ علم الناس بنوع المسائل التي تم تحليلها كان الاعتماد فيه على الملاحظة الظاهرة والاستنتاج وما تسعفهما به مخيلة بعض المُلْهَمِين وذلك في صفوف العلماء منهم ، وعلى الخرافة والنظرة الميثولوجية لدى عامتهم .

واستمر هذا الوضع الى فترة متأخرة من حياة الإنسانية . لذلك كان الصراع عنيفا في أروبا بين المحافظين على الرؤية القديمة الى عناصر الكون وبين الداعين الى إبطالها بعد ما وقع التفطن الى وجوب تغيير تلك الرؤية لما لوحظ فيها من عدم مطابقة للحق ولواقع الأمور .

---

(234) أكد د. عاطف أحمد على أن حقائق القرآن مطابقة لما كان عليه الناس زمن نزوله . **نقد الفهم العصري للقرآن** ، 80-81 .
ومن بين من خالفه في ذلك د. كاصد ياسر الزيدي ، 15 إذ يقول عند حديثه عن مفهومات الطبيعة المغلوطة التي كانت سائدة بين الناس زمن نزول القرآن : « ولذلك كان لابد من ملاحظة المفهومات العامة التي ظهر أن القرآن باينها عند نزوله والتي لم يشأ أن يخضع لها وإن كانت فكرا يعيشه الناس وواقعا ملموسا . لأنه جاء لا للإقرار بالواقع والتسليم له بل لتغييره وتبديله ، ما كان ذلك الواقع بعيدا مشططا» .

وكان يكفي لإحداث هذا الانقلاب الفكري لدى الإنسانية الخوض في مسألة كبرى ، ما إن تم الخضوع فيها الى أصحاب الرؤية الجديدة حتى جر ذلك الى متابعتهم في كل مسألة أخرى سلكوا فيها عين الطريق ، فأصبحت تلك المسألة حدا فاصلا بين عهدين : عهد ما قبل العلم وعهد الثورة العلمية . ولم يكن نعتها بالثورية جزافا إنما كان حقيقة ملموسة قلبت أوضاع المعارف الانسانية رأسا على عقب .

أ ـ منهج الثورة الكوبرنيكية في تقويم المفاهيم الكونية لدى الانسان :

والمسألة الكبرى التي أحدثت هذه الثورة وفصلت بين عهدين هي مسألة دوران الأرض وإقصائها عن عرش المركزية للكون وهي التي تعرف في تاريخ الفكر الإنساني بالثورة الكوبرنيكية la révolution copernicienne[235] . ولم تظهر هذه الثورة كما هو معلوم الا في بداية القرن السادس عشر . وبظهورها لم يتم تصحيح وضع بالنسبة الى مسألة كونية معينة فحسب إنما كانت انطلاقة جديدة كبرى لعهد جديد في كيفية رؤية الكون وأجزائه . لقد كانت ثورة ابستيمولوجية قوامها :

---

(235) عارضت هذه الثورة أقوال الكنيسة ومبادىء الفلسفة الأرسطية التي كانت منتشرة في القرون الوسطى في الأوساط العلمية . انظر كتاب **في السماء والآثار العلوية** : ارسطوطاليس، تحقيق وتقديم عبد الرحمٰن بدوي، ط أولى 1961م، القاهرة، 296. «وصح أن الأرض موضوعة في الوسط اضطرارا وأنها ساكنة لا تتحرك ».

1) روح علمية غيرت اعتبارات الإنسان إزاء الكائنات وأطلقت سلطانه عليها بعد ما كان لها أسيرا ومقدسا نتيجة غموض معارفه عنها .

2) منهجية في البحث تعتمد الملاحظة الحسية والتجربة المادية الى جانب الدليل العقلي .

ب ـــ منهج القرآن في تقويم المفاهيم الكونية لدى الانسان والرؤية القرآنية الجديدة لعناصر الكون :

إن هذا الذي حدث في بداية القرن السادس عشر قد انقدحت شرارته في القرن السابع ميلادي مع نزول القرآن .

ذلك أن القرآن أتى ليصحح أوضاعا فكرية كانت عليها المجتمعات الانسانية والتي نجد نموذجا منها في المجتمع العربي الذي بين أفراده نزل القرآن .

أتى القرآن برؤية جديدة للكون وعناصره ، ودعا الى منهجية تقودُ الفرد ذا الفطرة السليمة الى نتيجة حتمية مناسبة للرؤية التي دعا اليها . كانت عناصر الكون في المجتمع العربي خاضعة الى مبادىء العقيدة المنتشرة بين أفراده ، يعني الوثنية . فقد حظي عدد من عناصر السماء والأرض بلقب الألوهية عند العرب

كالشمس[236] والقمر[237] ، والنجوم[239] والماء[239] والشجر[240] .
وعتبروا أن لها سلطانا عليهم فخافوها ، ونحتوا لها الأصنام وقدموا إليها القرابين لترضى عنهم . فكانت النتيجة أنهم وقفوا منها وقفة الخاضع المتذلل إزاء الآمر المتصرف ، وذلك هو موقف كل من كان بدائي التفكير يؤمن بالمذهب الحيوي l'animisme المبني على الاعتقاد بسريان الروح في الكائنات الطبيعية المحيطة بالإنسان ولكي يتقي شره يعمد الى تقديس تلك الكائنات . فلما نزل القرآن دعا إلى نبذ هذه الرؤية . فأحلّ التوحيدَ محل الوثنية ، ونزّه المعبود عن كل ما يمكن أن تشاركه به الكائنات المادية ، وغيَّر رؤية الناس الى عناصر الطبيعة ونفى عنها صفة التقديس .

فالجديد الذى أتى به القرآن بشأن علاقة الانسان بعناصر الكون هو عينه الذي دعت إليه الثورة الكوبرنيكية . ففي كلا الموقفين لم تعد الرؤية منطلقة من ذات الإنسان باعتباره مركزا للكون anthropocentrisme بل من البحث عن حقائق الأشياء ذاتها .

---

(236) **في طريق الميثولوجيا عند العرب** ، محمود سليم الحوت ، ط 2 ، 1979م، بيروت 91 وما بعدها .

(237) **ن . م**، 95 .

(238) **ن . م** ، 79 وما بعدها .

(239) كاصد ياسر الزيدي ، 34 .

(240) **ن . م** ، 39 ؛ **في طريق الميثولوجيا عند العرب** ، 109 .

وكما أن الثورة الكوبرنيكية اعتمدت في مقرراتها نواميس علمية ومعادلات رياضية قيدت بها مقادير الأشياء وضبطت بها خصائصها فإن القرآن عرّف الإنسان بعناصر الكون الذي يعيش فيه وضبط له الصفات المناسبة لطبيعتها موجها رؤيته بذلك الى ضرورة التعرف على حقيقتها ، متجاوزا ذلك إلى الوظيفة المنطقية المضطلعة بها والتي تعلل وجودها : يعني الدلالة على التوحيد .

والمبادىء القرآنية التي ضبطت حقائق عناصر الكون تنحصر في اعتبار أن هذه العناصر مخلوقات لله طيعة ، مقدرة في كمياتها وكيفياتها ، مسخرة فانية فناء جميع المخلوقات . فأبطل بذلك خوف الإنسان منها وأبطل بالتالي تقديسه لها ، وحوّل سيطرتها عليه الى سيطرة ينبغي أن تكون له عليها ، وفتح باب البحث فيها على مصراعيه .

والآيات الواردة في تحديد طبيعة الأشياء في القرآن عديدة نجتزىء بذكر نماذج منها نتبين فيها أهم الصفات المتعلقة بعناصر الكون :

ـ **الخلق** : ﴿ الحَمْدُ للهِ الذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ والأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَـٰتِ والنُّورَ ﴾[241] .

ـ **مادة الخلق** : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[242] .

---

(241) الأنعام ، 1 .

(242) الأنبياء ، 30 .

ـ **الخضوع** : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[243] .

ـ **التسخير** : ﴿ اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾[244] . ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَٰرَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾[245] .

ـ **التقدير** : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[246] .

ـ **التنظيم** : ﴿ لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[247] .

ـ **الغائية** : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَٰزِنِينَ ﴾[248] .

---

(243) فصلت ، 10 .

(244) الرعد ، 2 .

(245) إبراهيم ، 34-35 .

(246) القمر ، 49 .

(247) يسٓ ، 39 .

(248) الحجر ، 88 .

رفع المسيّهم

ـــ **الفناء** : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ ﴾[249]

يستنتج من هذه الصفات ضرورة أن عناصر الكون المخلوقة المقدرة ، المسخرة ، الفانية لا يصح مطلقا أن يقف منها الإنسان موقف عرب الجاهلية إنما ينبغي اتخاذ هذه الصفات وسيلة الى إدراك حقائق تلك العناصر . ولا يمكن الوصول الى ذلك إلا بالاعتماد على منهجية معينة ما انفك القرآن يلفت انتباه الناس اليها عائدا باللائمة على كل مَن أعرض عنها وهي الملاحظة الحسية المؤدية الى الاستنتاج المنطقي السليم . يقول تعالى ﴿ أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوت ٱلسَّمَـٰوَاتِ والأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللهُ مِن شَيْءٍ ﴾[250] ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُون ﴾[251] ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ ٱللهِ الصُّمُّ البُكْمُ الذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾[252] .

وهكذا فإن القرآن أحلّ محلّ العقل المكبّل باعتقاد النفع والضر للحجارة والنباتات والأرواح ، عقلا تحرر من سخافة الميثولوجيا وأساطيرها الى صدق عقيدة التوحيد وواقعيتها . وبهذا التوجيه القرآني أصبح العقل البشري بعد تصفيته من الخرافة جاهزا لتقبل الحقائق بجميع أصنافها .

---

(249) القصص ، 88 .

(250) الأعراف ، 185 .

(251) الذاريات ، 21 .

(252) الانفال ، 22 .

2 ـــ معنى الاعجاز العلمي في القرآن :

أ : الاسبقية الزمنية في تصوير حقائق الاشياء .

قد ذكرنا أثناء التحليل أن كل ما جاء في القرآن متعلقا بعناصر الكون نعت بكونه حقا فلعل من بين أسرار هذا النعت ما لاحظنا من مطابقة بين ما جاء في القرآن بشأنها وما أثبتته العلوم الحديثة عنها . فإثبات التفسير العلمي للقرآن لا ينبغي أن يفهم بمعنى كمون النظريات العلمية في آياته بجميع تفاصيلها إنما يقصد به ـــ والله أعلم ـــ صدق المقالة القرآنية في إخبارها عن الأشياء بحيث لا نجد في ما كشفت عنه العلوم من خصائصها الثابتة ما يتعارض مع ما جاء في القرآن عنها . فأصبح من أسرار الإعجاز القرآني هذه الأسبقية الزمنية في تصوير حقائق الأشياء . فهي التي نفهم بها سر تحدّي الإنس والجن بأن يأتوا بمثله ، إذ أنهم كلما تقدموا خطوة إلا وكان القرآن متضمنا لها داعيا الى تجاوزها الى غيرها .

ب ـــ الأسبقية الزمنية في معجزات الأنبياء :

إن هذه الأسبقية الزمنية ليست قصرا على القرآن باعتبار كونه معجزة فإنه يستوي فيها مع كل المعجزات التي ظهرت على أيدي الأنبياء والمرسلين . ذلك أن لمعجزة الأنبياء وظيفة معينة هي « إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله »[253]. والذي ينبغي

---

(253) شرح التفتازاني على العقائد النسفية ، 166 .

الوقوف عليه في المعجزة أنها لا تجسم مبادرة صادرة عن الرسول مباشرة إنما هي تجسيم لقدرة الله الذي كلف الرسول بتبليغ المهمة التي اختصه بها . لذلك نجد في ذكر معجزات الأنبياء في القرآن نسبتها الى الله تعالى وامتثال الأنبياء فيها الى الأوامر الإلٰهية الصادرة إليهم بشأنها . ففي معجزة إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم صدر الأمر الإلٰهي الى النار فأمسكت عن تأدية وظيفتها التي تعودت أن تقوم بها وهي الإحراق فقال تعالى ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾(254) .

وفي معجزة موسى عليه الصلاة والسلام صدرت الأوامر الإلٰهية الى النبي المرسل ليواجه فرعون وقومه في تحدياتهم له فقال تعالى مخاطبا نبيه : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾(255) ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾(256) ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾(257) .

وفي معجزات عيسى عليه الصلاة والسلام نسَب ٱللهُ تعالى ما حصل على يدي رسوله الى ذاته العلية فقال ﴿ إِذْ قَالَ ٱللهُ يَـٰعِيسَىٰ ٱبنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَـٰبَ والحِكْمَةَ والتَّوْرِيَـٰةَ

(254) الانبياء، 68 .

(255) الأعراف، 116 .

(256) النمل، 12 .

(257) الشعراء، 63 .

والإنْجيلَ وإذ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأبْرَصَ بِإِذْنِي وإذْ تُخْرِجُ المَوْتَىٰ بِإِذْنِي وإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَآءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إن هَـٰذَا إلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾[258] .

وفي معجزة الرسول محمد ﷺ ـــ أعني القرآن الكريم ـــ تكرر الأمر الإلـٰهي يتلقي الوحي ، وتكرر نفي صدور القرآن عن النبي ﷺ ؛ يقول تعالى ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ ﴾[259]،ويقول سبحانه كذلك ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَرْتَابَ المُبْطِلُونَ ﴾[260] .

والأنبياء عليهم السلام يعلمون علم اليقين أن ما يظهر على أيديهم من المعجزات هو من عند آلله وليس من عند أنفسهم . لذلك خاف موسى عليه السلام أمام إحساسه بالعجز عن الإتيان بمثل ما أتى به السحرة ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾[261] فنزل عليه الوحي ليطمئنه وليبشره بالفوز على أعدائه ﴿ قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَىٰ ﴾[262] .

---

(258) المائدة ، 110 .

(259) الجن ، 1 .

(260) العنكبوت ، 49 .

(261) طـه ، 66 .

(262) طـه ، 67 .

وتوجه نوح الى الله يسأله النجاة ومن معه من المؤمنين من كيد قومه ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(263) .

وأكد عيسى عليه السلام على أن ما جرى على يديه من خوارق العادات لم يكن من عنده ﴿ إِنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾(264) .

وجاء على لسان الرسول ﷺ التقرير القاطع بأن ما اتى به ليس من عنده فقال تعالى ﴿ واذا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّنَاتٍ قَالَ الذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائتِ بِقُرْآن غير هَذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِى نَفْسِيَ إِنْ أَتَّبِعُ إلا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾(265) .

وكما أن موسى عليه السلام لم يبطل عمل السحرة بشيء كان قد تعلّمه وفاق عليهم فيه ، وكما أن عيسى عليه السلام لم تنتج خوارقه في معالجة المرضى عن دراسة سابقة فاز فيها عن غيره من أطباء عصره فكذلك ما تكلم به الرسول ﷺ لم يسع يوما قبل بعثته إلى الاهتمام بموضوعاته المتعددة ولا اشتهر بين قومه بالكلام فيه، سواء

---

(263) الشعراء ، 117-118 . انظر كذلك دعاء لوط ربه في الشعراء ، 169 ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .

(264) آل عمران ، 48 .

(265) يونس ، 15 .

في ذلك ما كان موجودا في عصره ممكن تحصيله ، أو ما اكتشفه الفكر البشري بعد ذلك . ومن هنا ندرك الحكمة الإلـٰهية في اختيار الأمية للرسول محمد ﷺ لكي تكون الشاهد القائم على أن ما أتى به لا يمكن أن يكون من عنده ولا حصل عنده بوسائل بشرية . وبهذا المعنى فسرّ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الأمية في قوله تعالى ﴿ الذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَبِيءَ الأُمِّي ﴾[266] فقال : «والأمية وصف خص الله به من رسله محمدا ﷺ إتماما للإعجاز العلمي العقلي الذي أيده الله به فجعل الأمية وصفا ذاتيا له ليتم بها وصفه الذاتي وهو الرسالة ليظهر أن كماله النفساني كمال لدنّي اِلـٰهي لا واسطة فيه للأسباب المتعارفة للكمالات وبذلك كانت الأمية وصف كمال فيه مع أنها في غيره وصف نقصان لأنه لما حصل له من المعرفة وسداد العقل ما لا يحتمل الخطأ في كل نواحي معرفة الكمالات الحق ، وكان على يقين من علمه وبينة من أمره ما هو أعظم مما حصل للمتعلمين ، صارت اميته آية على كون ما حصل له إنما هو من فيوضات إلـٰهية »[267]،فالذي يتجلى في كل معجزة من المعجزات التي حصلت على يد الرسل هي القدرة الإلـٰهية الماسكة بجميع المخلوقات والمتصرفة فيها تصرفا ذاتيا . وتتفق المعجزة في طريقة صدورها عن الله تعالى مع طريقة صدور بقية الكائنات الأخرى . فالأمر الإلـٰهي الذي عنه ظهرت المعجزات

---

(266) الاعراف ، 157 .

(267) التحرير والتنوير ، ج 9 ، ك 133/1 .

هو عينه الذي كان وسيكون وراء كل ما اراد الله ظهوره من المخلوقات ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(268) .

ينتج عن هذا تسوية مطلقة بين المعجزة وبين جميع مظاهر الخلق الإلٰهي . فصفة الخلق الإلٰهي التي كيفت النار بطريقة تجعلها تلتهم كل ما يقع فيها ، هي التي أمسكت النارُ بفضلها عن الإحراق في معجزة إبراهيم . وكما أمر الله مياه البحر أن تشدّ الى الأرض شدًّا فامتثلت خاضعة لأمر الله ، فإنها انتصبت واقفة في معجزة موسى تنفيذا كذلك لأمر الله. فتعريف المعجزة بكونها أمرا خارقا للعادة يصدق على اعتبارها من زاوية الإنسان لأنها تأتي بما لم يتعوْده . لكن هذا التعريف لا يصدق على علاقة المعجزة بالإرادة الإلٰهية لأن شأنها في ذلك شأن بقية الكائنات الأخرى وإن هي إلا إظهار فوري لخلق جديد .

فالذي بهر عقول الناس في المعجزة ينبغي أن يبهرها في كل مظهر من مظاهر الكائنات التي تتجلى فيها صفات الخلق والإرادة والقدرة الإلٰهية . لكن الذي جعل العقول لا تلاحظ تلك الصفات فيما يحيط بها ، هو تعود رؤيتها فأصبحت لا تسترعي الانتباه ولا تعجب لها النفوس .

(268) يس، 81 .

ويؤكد هذا التقريب بين المعجزة وبين كل عنصر من عناصر الكون من حيث صدورها عن الله اشتراكها في التسمية بالآيات،فقد سمى الله ما آتى موسى من معجزات آيات[269] وما أتى عيسى من بينات آيات[270] وسمى معجزة صالح آية[271] ، وجعل القرآن جميعا منه آية[272] ، وأطلق هذه التسمية على كل المعجزات التي أرسل بها أنبياءه[273] .

ثم إنه تعالى سمى عددا من مظاهر الكون آيات :

ففي السمٰوات والأرض آيات للمؤمنين[274] ، وكذا في الأنفس[275] ، والليلُ والنهار آيتان[276] ، وكذلك الشمس والقمر[277] .

فهذه الأمور جميعا : معجزات الأنبياء والظواهر الكونية تتجلى فيها صفة الله التى لا يشاركه فيها أحد وهي صفة الخلق ولولا

---

(269) الاسراء، 101 ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ﴾ .
(270) المائدة ، 110 ﴿ وإذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالبَيِّنَـٰتِ ﴾ .
(271) هود ، 64 ﴿ويَـٰقَوم هَـٰذِهِ نَاقَةُ الله لَكُمْ آيَةً﴾ .
(272) البقرة ، 99 ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَـٰتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ . انظر **مفاتيح الغيب**،199/3 .
(273) الرعد ، 38 ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أن يَأتِي بِآيَةٍ إلاَّ بِإِذْنِ ٱلله ﴾ .
(274) الجاثية ، 3 ﴿ إنَّ فِي السَّمَـٰوَاتِ والأَرْضِ لآيَـٰتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .
(275) الذاريات ، 21 ﴿ وفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ انظر **الكشاف**،317/4 .
(276) الإسراء ، 12 ﴿ وجَعَلْنَا الَّيْلَ والنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ﴾ .
(277) فصلت ، 37 ﴿ ومِنْ آيَـٰتِهِ الَّيْلُ والنَّهَارُ والشَّمْسُ والْقَمَرُ ﴾ .

أن المعجزة قصد بها تحدّي من كذّب برسالة الأنبياء تعجيزا لهم على أن يأتوا بمثلها[278] لقلنا إنها لا فرق بينها وبين أي ظاهرة من ظواهر الكون .

فإذا ثبت هذا فإن من تيسّر له فهم حقائق بعض الكائنات في السماء والأرض ينبغي أن لا يتعذر عليه إدراك حقيقة بعض المعجزات باعتبارها خلقا من خلق الله ، جاريا على نسق الخلق المتجلي في السماء والأرض ، والذي دُعِيَ الإنسان الى تدبره وإدراك أسرار تكوينه ، ومن هنا يفقد وصف المعجزة بالسحر كل معنى . وفي سجود السحرة لموسى ما يثبت هذه الحقيقة : ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوْا إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَـٰحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[279] .

لقد أصبح للإنسان سلطانٌ على عدد كبير من الكائنات بفضل ما أحرزه من تقدم علمي صار به قادرا على إدراك حقائق كثير من الأشياء . وكلما ازداد فهمه ازداد تسخيره لتلك الكائنات وحاكى الكثير منها في مجالات مختلفة[280] .

ولا شك أنه أصبح من الميسور على المختصين تصور **إمكانية**

---

(278) **الشفا** ، 162/1 .

(279) طه ، 68ـ 69 .

(280) مثال ذلك اختراع الكاميرا والدماغ الالكتروني والقلب الصناعي الخ ...

وقوع معجزة الخليل . وقد كان الغزالي تنبه الى هذا المعنى فاعتبر أن الذي حصل فيها هو إما التغيير في صفة النار أو التغيير في صفة النبي[281] .

والذي تم في هذه المعجزة هو كما جاء في القرآن صدور الأمر الإلٰهي الى النار فتحولت بفضله الى خلق جديد ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَى إِبْرَٰهِيمَ ﴾[282] . فالنار التي أضرمها قوم إبراهيم لم تبق هي النار التي اعتادها الناس وجرّبوها إنما أصبحت خلقا آخر بفضل الأمر الإلٰهي الذي حولها الى خلق جديد .

وقد ذكر الشيخ محمد عبده هذا المعنى في تفسيره مؤكدا على إمكانية إدراك المعجزة إدراكا عقليا إن تم الاهتداء الى سنة الله في ذلك ، فقال في تفسير قوله تعالى ﴿ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾[283] : « فلُبْث الرجل الذي ضرب على سمعه هنا مثلا مائة عام غير محال في نظر العقل ولا يشترط عندنا في التسليم بما تواتر به النص من آيات الله تعالى أخذها على ظاهرها إلا أن تكون من الممكنات دون المستحيلات وإنما ذكرنا ما وصل إليه علم بعض الناس من هذا السبات الطويل الذي لم يعهده أكثرهم

---

(281) تهافت الفلاسفة ، القاهرة، 235,1947/1366

(282) الانبياء ، 68 .

(283) البقرة ، 258 .

لأجل تقريب إمكان هذه الآية من أذهانالذين يعسر عليهم التمييز بين ما يستبعد لأنه غير مألوف وما هو محال لا يقبل الثبوت لذاته »[284] .

إن ما ذكرناه بشأن المعجزة لا يزيدها إلا تأكيدًا وإن السلطان الذي أصبح للإنسان على الأشياء بفضل التقدم العلمي والتكنولوجي لم ينزع عن معجزات الأنبياء صفة الإعجاز فقد تبين :

1) أن ما تم فيها لم يكن أمرا مستحيلا وقد أمكن تفسير بعضها وفهمه عن طريق التعليل البشري للظواهر الكونية .

2) أن الكيفية التي صدرت بها لا يمكن أن تكون بشرية فهي طريقة صدور جميع الكائنات خضوعا للأمر الالهي بالكينونة .

وهذه الكيفية لا يمكن أن تتم على يد بشر . ولا يدرك هذا الأمر حق الإدراك إلا من خبر الأشياء وعلم أن إمكانية التصرف في طبيعتها لا يتسنى للإنسان إلاَّ بعد البحث المضني والدراسة المستمرة والمعدات المعقدة يستعين بها على الوصول إلى تحقيق غايته. وهذا كله لم يتوقف حصول المعجزات عليه ، فإن موسى عليه السلام لم يزد على إلقاء عصاه لتتحول الى ثعبان يتلقف ما أتى به السحرة . وعيسى عليه السلام لم يزد على الدعاء ليداوي

---

(284) تفسير المنار ، 50/3

الأكمه والأبرص[285] ويحيي الموتى[286] . هذه المعاني تشترك فيها معجزات الأنبياء جميعا ، والقرآن معجزة الرسول ﷺ ، لذلك تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله[287] ، أو بسورة[288] ، أو بعشر سور مثله مفتريات[289] .

وقد عدد العلماء أوجه الإعجاز في القرآن ولعل أول هذه الأوجه تلك الأسبقية الزمنية التي لاحظناها في جميع المعجزات . فهي التي تسمح بفتح الباب للتفسير العلمي القرآن . ذلك أن في القرآن من المعاني ما يتعذر تاريخيا القول بظهوره زمن نزول القرآن ، ويدل ورودها فيه على أن هذا الكلام لا يمكن أن يكون صادرا عن بشر[290] .

ج ـ الأسبقية الزمنية سر الاعجاز العلمي للقرآن :

إن القول بالتفسير العلمي للقرآن يعود الى إبراز صفة الإعجاز فيه باعتباره صادرا عن الله وبالتالي شاهدا على صدق الرسالة المحمدية. فكما أن معجزات الأنبياء السابقين تَبين بعد ما كشف العقل

---

(285) **الكشاف**،279/1:وما كانت مداواته الا بالدعاء .

(286) **التفسير الكبير**، 57/8 : كان عيسى عليه السلام يحيي الأموات بـ «ياحي يا قيوم» .

(287) الإسراء ، 88 .

(288) البقرة ، 22 .

(289) هود ، 13 .

(290) كرر Bucaille هذا المعنى في مواطن كثيرة من كتابه انظر : ص : 127 ، 151 ، 163 ، 178 ، 198 .

عن حقائق بعضها أنها لا يمكن أن تكون صادرة عن بشر فكذلك الأمر بالنسبة الى القرآن فإنه لا يمكن أن يكون صادرا عن أعلم علماء ذلك العصر فما بالك بالنبيّ الأمّي ؟

فالذي يحسن فهمه حنيئذ من مثل عبارتي الإعجاز العلمي في القرآن أو التفسير العلمي ، هو ملاحظة ما احتوى عليه هذا النص من معان يتعذر صدورها عن بشر زمن نزول القرآن لأنها تكشف عن واقع لم تكن العقول البشرية قد نضجت بعد لتقف عليه.وعدم إدراك معاصري القرآن أو من أتوا بعدهم بزمن طويل لذلك الواقع هو الذي يدل على جانب الإعجاز فيه مثل ما دل عدم إدراك معاصري إبراهيم سر بقائه سالما في النار على كون ذلك الأمر يمثل معجزة إبراهيم الدالة على صدق ما أتى به . وليس الغرض من التعبير عن هذه الخاصية في القرآن بالإعجاز العلمي حمل القرآن على متابعة أمر احتل في الفترة الحاضرة محل الصدارة في الحياة المعرفية في تاريخ الإنسان أعني بذلك العلم ؛ إنما يعود التقريب بين القرآن والعلم إلى الاشتراك الواضح بينهما في تقديم الواقع على صورته التي هو عليها بالفعل . لذلك لم يبق مجال للتساؤل عن مشروعية التفسير العلمي للقرآن أو عدم مشروعيته لأن علاقة العلم بالقرآن علاقة المفسِّر بالمفسَّر كما اتضح من المسائل الثلاث التي تمّ تحليلها .

وهكذا فإن الأسبقية الزمنية التي تعتبر مركز الدائرة في كل

معجزة هي التي جعلت القرآن معجزة في الماضي وفي الحاضر، وهي التي ستجعله معجزة في المستقبل باعتبار الاستمرارية الزمنية التي أرادها آلله لخاتمة أديانه ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَـٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أنْ تَنْفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾[291] .

---

(291) الكهف ، 104 .

رفع المسيه

الخـــاتمـــة

إن الذي يتتبع تاريخ الملسمين مع كتابهم يدرك دون شك سبب اهتمامهم بالتفسير العلمي للقرآن .

ذلك أنه ما تألق في الساحة الفكرية الإسلامية مذهب أو نظرية إلا وُجد أثر ذلك في التفسير فكأنما التفسير مرآة تنعكس عليها الحضارة الإسلامية في جميع مظاهرها وما ذلك إلا للمكانة السامية التي يَحتلها القرآن في نفوس المؤمنين به .

ويمكن أن نقول إن التيار العلمي الحديث الذي أخذت الحضارة الإسلامية في تمثله لم يتخلف عن القاعدة . فقد اهتم به الباحثون وحاولوا استنباط قواعده ونظرياته من القرآن . وقد تَسَاءَلْنَا في هذه الدراسة عن نوع العلاقة الممكنة بين العلم والقرآن وقدمنا الأجوبة المتنوعة على ألسنة أصحاب المذاهب المختلفة .

والذي وصلنا اليه بعد البحث هو أن الذي ينبغي فهمه من عبارة التفسير العلمي يتمثل في الوقوف على سر المطابقة الكلية التي يلاحظها الباحث بين اللفظة القرآنية والواقع الذي تشير اليه ولا يمكن الوقوف على هذه المطابقة إلا عن طريق العلم .

فالعلم يسعى جاهدا الى الكشف عن أسرار الكائنات ليُطلع الباحثين على حقائقها. ومقارنة نتائجه التي وصل اليها بما جاء مذكورا في القرآن ، وملاحظة المطابقة بين حقائق هذا ونتائج ذاك هو الذي جعل القول بالتفسير العلمي ضرورة قائمة لا ادعاء مزعوما .

فالذي توصل اليه العلم عن طريق البحث والدراسة كَشَفَ عنه القرآن عن طريق الوحي .

لذلك لاحظنا أنه من أوجه الإعجاز في القرآن ما سميناه أسبقية زمنية وهي ، كما رأينا ، قاسم مشترك بين معجزات الأنبياء جميعا .

فطريق العلم مطيتهُ الزمن تنكشف حقائق الكائنات فيه على التدريج ، وطريق المعجزة صادر عن الوحي وفيه تتجلى حقائق الكائنات تجليا فوريا لا قدرة للعقل ــ وهو أداة العلم ــ أن يدركه إلا بعد اجتياز المراحل الزمنية التي تمكّنه من فك رموزها .

فكان على العلم أن يلتحق ضرورة بركب الوحي . ولا يعني ذلك أن العلماء سيجدون نظرياتهم وافتراضاتهم ومسلماتهم مندسة في الآيات ، فهذا لا يقول به عاقل ، لأن طريق الوحي في تقديم

الحقائق غير طريق العلم . لكن الذي أظهره البحث وبينته المقارنة أن الحقائق التي قضى العلم زمنا طويلا للكشف عنها كانت حاضرة في القرآن لتشهد أنه من عند الله .

وهكذا فإنه لا يمكن أن نعتبر التفسير العلمي للقرآن مجرد اتجاه عرفه التفسير كما عرف غيره من الاتجاهات الفكرية الأخرى بل نراه حقيقة ذاتية نابعة من القرآن لتذكّر في كل آية منه بأنه المعجزة التي لن يتأتى لأحد الإتيان بمثلها ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ عَلَىٰ أن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[292] .

---

(292) الإسراء : 88 .

رفع المسـاهمـ

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

د. أحمد (عاطف) :
نقد الفهم العصري للقرآن ، دار الطليعة ، بيروت ، 1972م .

أرسطوطاليس :
في السماء والآثار العلوية ، تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي ط. أولى ، القاهرة ، 1961م .

أركون (محمد) :
مفهوم العلم في القرآن والتفكير المعاصر الملتقى الثاني عشر للفكر الاسلامي (مرقونة) .

الاسكندراني (محمد بن أحمد) :
كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية. المطبعة الوهبية، 1297هـ، 3 أجزاء.

ابن أبي الأصبع :
بديع القرآن، ط 2، مصر، بدون تاريخ.

الاصبهاني (الحسن بن محمد) :
المفردات في غريب القرآن ، مصر ، 1970م.

د. بنت الشاطىء :
القرآن والتفسير العصري ، مصر ، 1970م.

د. التركي (البشير) :
لله العلم ، ط . أولى ، تونس ، 1979/1399 .

الترمذي (محمد بن عيسى) :
الصحيح ، 1392 هـ جزآن .

التفتازاني (مسعود بن عمر) :
الشرح على العقائد النفسية ، ط . 2 ، 1321هـ .

د. چلبي (خالص) :
الطب محراب الإيمان ، ط. 2 ، مؤسسة الرسالة ، 1982/1402 ، جزآن .

جوهري (طنطاوي) :
الجواهر في تفسير القرآن الكريم ، ط . 2 ، 1350 هـ ، 26 جزءا .

ابن حجر العسقلاني (أحمد) :
فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ، 14 جزءا .

حسين (محمد كامل) :
الذكر الحكيم ، مكتبة النهضة المصرية ، بدون تاريخ .

ابن حنبل (أحمد) :
المسند ، ط. أولى ، بيروت ، 1969/1389 ، 4 أجزاء .

الحوت (محمود سليم) :
في طريق الميثولوجيا عند العرب ، ط. 2 ، بيروت ، 1979م.

أبو حيان (محمد بن يوسف) :
البحر المحيط ، ط.2 ، دار الفكر ، 1978/1398 ، 8 أجزاء .

د. خان (محمد عبد المعيد) :
الأساطير العربية قبل الإسلام ، القاهرة ، 1973م.

الخفاجي (أحمد شهاب الدين) :
نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ، ط. أولى ، مصر ، 1325-1327هـ 4 أجزاء.

الحولي (أمين) :
مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، القاهرة ، 1961 .

الدامغاني (الحسين بن محمد) :
قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ط. 2، بيروت ، 1977م

دروزة (محمد عزة) :
النفسير الحدبت، عيسى البابي الحلبي، 1962/1381.

الذهبي (محمد حسين) :
التفسير والمفسرون ، دار الكتب الحديثة ، 1961/1381 ، 3 أجزاء .

الرازي (فخر الدين) :
مفاتيح الغيب ، ط. 2، مصر، 32 جزءا .

الرافعي (مصطفى صادق) .
إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ط. 8 ، 1969/1389 .

رفع
المستهم

ابن رشد (محمد بن احمد) :
ـــ **فصل المقال** ، 1948 .
ـــ **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة** ط. 2، بيروت، 1979/1399

رضا (محمد رشيد) :
تفسير المنار ، ط. 4 ، مصر ، 1373 .

الرماني :
ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجُرجاني ، مصر ، 1968 .

الزركشي (محمد بن عبد الله) :
البرهان في علوم القرآن ، ط. أولى ، 1957/1376 ، 4 أجزاء .

الزمخشري (محمود بن عمر) :
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ط . 2 ، القاهرة ، 1953/1373 ، 4 أجزاء .

د. الزيدي (كاصد ياسر) :
الطبيعة في القرآن الكريم ، العراق ، 1980م.

السبكي (بهاء الدين) :
عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، مصر ، 1342هـ.

سليمان (احمد محمد) :
القرآن والعلم ، ط 5 ، بيروت ، 1981م.

السيوطي (جلال الدين) :
الإتقان في علوم القرآن ، القاهرة ، 1368هـ، جزآن.

رفع المسهم

الشاطبي (ابراهيم بن موسى) :
الموافقات ، مصر ، بدون تاريخ ، 4 أجزاء .

د. شحاتة (عبد الله) :
تفسير الآيات الكونية . ط.أولى ، دار الاعتصام، 1980/1400 .

الشرباصي (احمد) :
قصة التفسير . دار القلم ، 1962م.

الشعراوي (محمد متولي) :
معجزة القرآن ط. أولى تونس، 1983م.

شلتوت (محمود) :
الفتاوى ط. 2 دار القلم بدون تاريخ .

الشوكاني (محمد بن علي) :
فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ط. أولى ، مصر ، 1351 هـ ، 5 أجزاء .

الصابوني (محمد) :
صفوة التفاسير ، ط.5 ، شتوتغارت ، 1982/1402 ، 3 أجزاء .

الصدر (السيد محمد باقر) :
مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن ، ط.2 ، مصر ، 1954/1373 .

ابن عاشور (محمد الطّاهر) :
تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر :
ـــ 1969 ـــ 1979 ، 17 جزءا (الأجزاء: 1 و2 بدون تاريخ) .
ـــ 1984 ، 30 جزءا .

العامري (محمد بن يوسف) :
كتاب الإعلام بمناقب الاسلام ، دار الكتاب العربي ، 1967/1378 .

د. عبد المحسن (صالح):
الإنسان الحائر بين العلم والخرافة ، عالم المعرفة ، 1399,15هـ، الكويت .

ابن عرفة (محمد) :
تفسير ابن عرفة برواية الأبي ، مخطوط .

د. عبود (عبد الغني) :
الاسلام والكون ، ط. أولى ، دار الفكر العربي ، 1977م.

ابن عطية (عبد الحق) :
مقدمتان في علوم القرآن ، مصر ، 1954م.

عياد (جمال الدين) :
بحوث في تفسير القرآن ، سورة العلق ، دار الحمامي للطباعة ، 1961/1380 .

الغزالي (محمد بن محمد) :
ــ **إحياء علوم الدين** ، مصر ، 1930/1358 ، 4 أجزاء .
ــ **تهافت الفلاسفة**، القاهرة، 1947/1366.
ــ **جواهر القرآن** ط. 5 ، دار الآفاق الجامدة ، 1981/1401 .

فكري (علي) :
القرآن ينبوع العلوم والعرفان ،ط. أولى، دار احياء الكتب العربية 1946م.

د. الفندي (جمال الدين) :
القرآن والعلم ، ط. أولى ، القاهرة ، 1968م.

رفع
المسبهم

الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب) :
بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، القاهرة ، 1964/1384 .

ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) :
تأويل مشكل القرآن ، ط.2 ، القاهرة ، 1973/1393 .

القرطبي (محمد بن أحمد) :
الجامع لأحكام القرآن ، ط.3 ، القاهرة ، 1967/1387 .

لدموريس (ريحنا) :
البوليس والكشف عن الجريمة ، مصر ، 1956 .

محمود (مصطفى) :
القرآن ، محاولة لفهم عصري ، ط.4 ، بيروت ، 1973 .

المطيعي (محمد بن نجيت) :
تنبيه العقول الإنسانية لما في آبات القران من العلوم الكونية والعمرانية ،
مطبعة السعادة ، 1923/1314.

ابن نبي (مالك)
الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق، 1981/1402

ابن النديم :
الفهرست ، القاهرة ، بدون تاريخ .

نوفل (عبد الرزاق) :
بين الدين والعلم ، دار مطابع الشعب ، بدون تاريخ .

اليحصبي (عياض بي موسى) :
الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، مصبر ، 1329 .

المراجع باللغة الاجنبية

ARKOUN Mohammed: Lectures du Coran, G.P. Maisonneuve, et Larose, 1982.

Broc: Les montages vues par les géographes et les naturalistes de Langue française au XVII siècle, Paris 1969

Bayet Albert: la morale de la Science, Paris, 1931.

Bucaille Maurice: La Bible, le Coran et le Science, Seghers, 1976.

Garaudy Roger: Promesses de l'Islam, Seuil, 1981.

Howell B.F.: Introduction à la géophysique, Masson , 1969.

Wastson Lyall: Histoire naturelle du Surnaturel. Albin Michel, 1974

فهرس الآيات (*)

(*) في هذا الفهرس والفهارس الموالية حرف هـ الموالي لبعض الأرقام يشير الى موطن الآية (أو الحديث أو العلم أو الكتاب) في الهامش.

الأحاديث الواردة في الكتاب

فهرس الاعلام

رفع المسيّ همل

رفع المسبهمل

— ن —

— هـ —

— و —

— ي —

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

رفع المبسهمل

ــ الفهارس :

طبع من هذا الكتاب 5000 نسخة

الطبعـة الاولـى

الايداع الشـرعـي

نوفمبـر 1985

رفع
المسـاهم

مطبعة تونس قرطاج

رفع
المسلم